

نشرة غير دورية تصدرها
جمعية القاهرة الخيرية الأرمنية العامة

رئيس التحرير :
د . محمد رفعت الإمام
مستشار التحرير للمواد الأرمنية :
بيـــرج ترزيـــان
سكرتير التحرير :
على ثابت صبرى

العنوان : ٢٦ ش مراد بك ـ صلاح الدين
مصر الجديدة ـ القاهرة
تليفون : ٢٦٩٠٩٥٢٦(٠٢)
البريد الإلكترونى :
arekcairo@yahoo.com
رقم الإيداع : ١٨٣٧٤ / ٢٠١٠

إعداد وطباعة : ديزاين آرت
ت : ٢٤٣٣٠٨١٩ ـ ٠١٧٩٤٢٧١٨١
da_emad@yahoo.com

المحتويات

الموضوع	الصفحة

السادة القراء الراغبون فى الحصول على هذا الإصدار مجاناً ، الرجاء موافاتنا بالبيانات الآتية :

الاســــــم : ....
المهـــنـــة : ....
الـعـنـوان : ....
البريد الإلكترونى : ....
الـتـليـفـون : ....



المنظمات التركية الأمريكية تحاول قلب الحقائق التاريخية

بقلم : بيــرج ترزيـان

هناك حملة شرسة سواء من جانب الرسميين الأتراك داخل تركيا أو من جانب المنظمات التركية خارجها لإنكار حقيقة اقتراف حكومة تركيا العثمانية للإبادة الأرمنية خلال الحرب العالمية الأولى.

وقد ازدادت هذه الحملة ضراوة بعد أن قُدِّم مشروع القرار رقم ٢٥٢ إلى لجنة العلاقات الخارجية بالكونجرس الأمريكى والذى يُطالب بتوصيف المذابح التى ارتكبتها الحكومة العثمانية خلال عام ١٩١٥ بإبادة جنس .

فبتاريخ ٩ ديسمبر من العام الماضى ـ أى قبل مرور القرار ٢٥٢ فى لجنة العلاقات الخارجية بالكونجرس فى ٤ مارس من العام الحالى ـ وجه رئيسا أكبر منظمتين أمريكيتين تركيتين فى الولايات المتحدة الأمريكية وهما تجمع الجمعيات التركية الأمريكية Assembly of Turkish American Associations (ATAA) واتحاد الجمعيات التركية الأمريكية Federation of Turkish American Associations (FTAA) إلى آدم شيف وهو عضو بارز فى الكونجرس الأمريكى وأحد قياديى مجموعة الأعضاء المؤازرين للأرمن داخل الكونجرس ، وجها معاً خطاباً جاء فيه أنهما يحثان السيد آدم شيف على مساندة التقارب التركى الأرمنى الحديث العهد ، لذلك يريان أنه يجب عدم تقديم مشروع القرار رقم ٢٥٢ وعدم التصويت عليه.

ولقد جاء فى نفس الخطاب أن البروتوكولين بين تركيا وأرمينية واللذين تُساندهما كل من الولايات المتحدة وأوربا وروسيا تتضمنان فى نصوصهما موضوع تكوين لجنة تاريخية للتحقيق فى أحداث ١٩١٥، وهذا التحقيق سيتعرض بالضرورة للثورات الأرمنية (١٨٨٥ – ١٩١٩) (حسب قولهما) التى هلك خلالها ١,١ مليون مسلم ويهودى عثمانى وكذلك سيتم التحقيق فى عواقب ثورات الأرمن العثمانيين ومسانديهم.

والغريب أن رئيسىّ المنظمتين المذكورتين يُوجهان خطاباً بهذا المضمون ـ الذى نتفادى تحديد وصفه المخجل ـ إلى رجل عليم ببواطن الأمور. ولا يتوانى رئيسا هاتين المنظمتين من التوقيع على مثل هذا الخطاب ، بينما تُؤكد عشرات الدول والمنظمات الدولية والجمعية الدولية لعلماء إبادة الجنس ومئات المؤرخين فى أنحاء العالم وآلاف الوثائق التاريخية الدامغة الموجودة فى أرشيفات تركيا والعديد من الدول الأوربية التى اشتركت فى الحرب العالمية الأولى وكذلك أرشيفات الولايات المتحدة ، تُؤكد جميعها عكس ما يقولان.

ونُورد فيما يلى الفقرة من الخطاب التى أُشير فيها إلى عدد الضحايا من المسلمين واليهود العثمانيين بلغتها الأصلية وهى الإنجليزية:

The Turkey - Armenia Protocols, which the United States, Europe and Russia are supporting, include the establishment of a historical commission to investigate the events of 1915. This investigation will necessarily probe the Armenian Revolt (1885—1919) during which 1.1 million Ottoman Muslims and Jews perished, and its consequences for Ottoman Armenian rebels and their supporters.

ومن الواضح أن كاتبىّ الخطاب التركيين يقحمان اليهود فى هذا الموضوع لاستمالة الرأى العام اليهودى فى الولايات المتحدة ولمحاولةكسب مساندة اللوبى اليهودى للرأى التركى الرسمى.

والغريب أن يُردّد هذا الكلام الذى يسعى إلى قلب الحقائق التاريخية بتبديل دورىّ الجانى والمجنى عليه ، فالعالم كله يعلم أن الحكومة العثمانية قد نظمت المجازر الحميدية خلال الأعوام ١٨٩٤ ـ ١٨٩٦ حيث راح ضحيتها ٣٠٠ ألف أرمنى ، ثم نظم حزب الاتحاد والترقى الحاكم مذابح أضنة فى عام ١٩٠٩ التى راح ضحيتها ٣٠ ألف أرمنى ، ثم تم تنظيم مذابح ١٩١٥ والتى راح ضحيتها ١,٥ مليون أرمنى.

ومن سوء حظ رئيسىّ المنظمتين التركيتين الأمريكيتين ، فقد جاءت فى خطاب آدم شيف المؤرّخ فى ١٧ ديسمبر من العام الماضى ، والذى أُرسل رداً على خطابهما المشار إليه فى صدر هذا المقال ، جاءت فقرات عديدة واضحة كل الوضوح تُبين أسباب اقتناعه التام بوقوع إبادة الجنس بالنسبة إلى ١,٥ مليون أرمنى فى الفترة من عام ١٩١٥ إلى عام ١٩٢٣، وهناك فى الخطاب سرد تفصيلى لحقيقة الأمور بالنسبة للإبادة الأرمنية مما يدفعنا إلى تقديم الترجمة الكاملة لنص الخطاب المذكور إلى قرائنا فى الصفحات التالية لهذا المقال.

والجدير بالذكر أنه إلى جانب الإنكار المستمر من الأتراك على الصعيد الرسمى ، فإن هناك فى جانب آخر حركة متنامية بين المفكرين والأكاديميين الأتراك داخل تركيا وخارجها تُنادى بالاعتراف التركى الرسمى بالإبادة الأرمنية لتخفيف وزر عقدة الذنب الكبرى التى تُثقل كاهل الوجدان الجمعى التركى.

ولعلّ من أبرز أمثلة هذه الشخصيات الكاتب والصحفى التركى الشهير حسن جمال الذى يكتب فى عمود بجريدة «ميلّيات» التركية ، ويجدر بالذكر أن هذا الشخص هو حفيد أحمد جمال باشا [1] أحد الثلاثى الذى كان على رأس الهرم التنظيمى لحزب الاتحاد والترقى عند تخطيط وتنفيذ الإبادة الأرمنية فى عام ١٩١٥.

ومن المعروف أن أحمد جمال باشا أُغتيل على يد فدائى أرمنى فى تفليس عام ١٩٢٢ وذلك للدور الذى قام به فى الإبادة الأرمنية.

وقد كتب حسن جمال – حفيد أحمد جمال باشا ـ يوم ٢٤ أبريل الماضى فى مقال عنوانه « إنى أُشارك الأرمن فى آلام ٢٤ أبريل قائلاً : «اليوم ٢٤ أبريل ، و٢٤ أبريل ١٩١٥ احدى الصفحات المشينة للإمبراطورية العثمانية ، فالأرمن العثمانيون الذين كانوا يعيشون ويُبدعون خلال قرون طويلة فى الأناضول تحملوا آلاماً مبرحة على الأراضى التى كانوا يعيشون عليها ، لقد واجهوا آلاماً كبرى فى عقر دارهم ، وأُقلعوا من جذورهم وذُبحوا وتعرضوا للإبادة ، ويُطلق البعض على هذه الصفحات من التاريخ «الترحيلات» والبعض الاخر «المأساة» والبعض الآخر «الإبادة» ، بينما يُطلق البعض الآخر عليها «الكارثة الكبرى» ، ولكن لا يمكن إنكار ما حدث.

« لكن اليوم ٢٤ أبريل يوم إحياء ذكرى الأرمن ، يوم المأساة التى عاناها الشعب الأرمنى على هذه الأراضى ، فلنبدأ أولاً بمشاطر ة حزن الأرمن يوم ٢٤ أبريل ، فلنُحاول الشعور بألمهم فى قلوبنا ونقتسم بالتساوى الحداد مع الأرمن» .

وكتب بالإشارة إلى ذكرياته الخاصة بالزيارة التى قام بها فى عام ٢٠٠٨ إلى النصب التذكارى لشهداء الأرمن فى يريڤان المعروف بإسم دزيدزرناجابرت فكتب حسن جمال يقول :

« فى سبتمبر ٢٠٠٨ كنتُ فى يريڤان وزرتُ النصب التذكارى لشهداء إبادة الجنس ، وقد ظللتُ للحظة بمفردى مع

عـزيـزى هـرانت (ديـنك)[2] ، كـان ألم هـرانت هـو الـذى أحضرنى إلى النصب التذكارى ... وقد التقطت أذنى صوت هرانت الذى يقول : «فلنحترم آلام بعضنا البعض».

واختـتم حسن جـمال كلامه قـائلاً : «إنه آن الأوان لـكى نُـشاطـر ٢٤ أبـريل مع الأرمن عـلى المـسـتـويـين الـفـردى والـحكومى، أخى هرانت إنى أُشاطركَ الألم وأفتقدكَ ، فلتلقى راحتكَ هناك» .

ولا نـعـتـقـد أن هـنـاك أى كلام يُـضاف عـلى مـا قـاله حسن جـمـال ، فمن الـواضح أن كـلـماته صـادقة ونـابـعة من إحسـاس عميق بالألم الأرمنى.

الهوامش :

(١) كان جمال باشا فى عام ١٩١٥ حاكم سورية المطلق . وقام بقمع الثوار العرب ، وأمر بشنق ٢١ شخصية من قياداتهم فى دمشق وفى بيروت فى ٦ مايو ١٩١٦ بتهمة الخيانة . كان معروفاً فى بلاد الشام بـ «السفاح».

(٢) كان هرانت دينك رئيس تحرير جريدة أجوس ثنائية اللغة (تركية وأرمـنية). وكـان من المـناضـلـين من أجل المـصـالـحـة الـتركـيـة الأرمـنـية ومن أجل حقوق الإنسان وحقوق الأقليات داخل تركيا. وقد أُغتيل فى يناير ٢٠٠٧ على يد متطرف تركى قاصر عمره ١٧ عاماً ، وعلى الرغم من القبض على القاتل ، فإن قضية اغتيال دينك لازالت تُنظر أمام المحاكم التركية دون الوصول إلى المحرّض الحقيقى للجريمة ودون إصدار أى حكم.

وثائـــــــق

ترجمة نص خطاب آدم شيف عضو الكونجرس الأمريكى المرسل إلى كل من جوناى ايفنتش وكايا بوزتيبيه كل على حدة، رئيسىّ أكبر منظمتين تركيتين أمريكيتين

ترجمـة : سحـر توفيـق

مجلس نواب الولايات المتحدة

آدم شيف

تـلقيتُ رسـالتكَ الـخاصة بـقرار الإبادة الأرمـنيـة «قرار الكونجرس ٢٥٢» . وبعد قراءته ، أجد أننى أكثر تأكداً من أى وقت مضى من أن أفضل طريقة نضمن بها ألا يُنسى ضحايا الإبادة الأرمنية هى الموافقة على هذا القرار.

منذ أربعة وتسعين عاماً ، شنت حكومة الإمبراطورية العثمانية ما يُعد تقريباً فى العالم كله أول إبادة جنس فى القرن العشرين ، إبادة الجنس الأرمنى . وعند نهاية الأعمال الوحشية فى عام ١٩٢٣ ، كان ١,٥ مليون من الرجال والنساء والأطفال قد قُتلوا ـ بالرصاص والضرب والتجويع والاغتصاب والقوة الغاشمة ـ والإرغام على السير فى الصحراوات القاحلة .

ورغم سلسلة من الإدانات لبعض المرتكبين الرئيسيين بعد الحرب العالمية الأولى ، فإن الدولة التركية لم تقبل أبداً أن تعترف بالمسئولية عن أفعال حكومتها السابقة وأصرت بعناد على أن الإبادة لم تحدث أبداً . وحتى اليوم ، الأتراك ممنوعون

من أية مناقشة علنية للإبادة ، وهم عرضة للوقوف أمام القضاء لو فعلوا . إن فشل أنقرة فى الاعتراف بحقيقة أحداث ١٩١٥ ـ ١٩٢٣ قد عقدت العلاقات بين تركيا والولايات المتحدة وعدد من البلدان الأوربية ، كما أن هذا الفشل يعوق جهود تركيا للالتحاق بالاتحاد الأوربى .

إن دلائل الإبادة دامغة . وقد سجلت الصحف الأمريكية ، خاصة صحيفة النيويورك تايمز ، أحداث الإبادة بتفاصيل كبيرة. وقد أرسل الديبلوماسيون الأمريكيون فى كل أنحاء الإمبراطورية العثمانية المنهارة فيضاً من البرقيات والتقارير الأخرى تُفصِّل مذابح الأرمن . وفى ١٩١٩ ، وافق الكونجرس على تشريع لمساعدة الضحايا ، وأسهم الأمريكيون العاديون بالنقود لمساعدة الناجين . وفى أرشيفاتنا القومية آلاف من البرقيات والتقارير وشهادات العيان والصور وغير ذلك من الأدلة على حملة متعمدة للإبادة .

وطوال الأعوام التسعين الماضية ، ظل الشعب الأرمنى يبحث عن العدالة ؛ لقد حاربوا لكى يجعلوا معاناتهم ـ التى ألهمت شاباً يهودياً بولندياً أن يصيغ مصطلح «genocide إبادة جنس» والذى اعترف به المجتمع الدولى وخاصة ذرية أولئك الذين قاموا بالمذبحة . ومقابل ذلك ، ظلت الحكومة التركية تُحافظ طوال عقود على سياسة محاربة أية محاولة تبذلها الحكومة الأمريكية أو أية شعوب أخرى للاعتراف لما حدث للشعب الأرمنى بالوصف الملائم له .

وفى وقت مبكر من عامنا هذا ، وقّعت حكومتا تركيا ودولة أرمينية الحديثة البروتوكولين اللذين عند تصديقهما من طرف برلمانىّ البلدين المعنيين ، سوف يُنهيا حصار تركيا المستمر منذ ١٦ عاماً لأرض أرمينية التى لا تطل على أية بحار. سوف تُفتح الحدود ، وهو أمر سوف يفيد منه بالتأكيد الشعب الأرمنى ، الذى عانى من الحرمان الاقتصادى والعزل الطبيعى نتيجة حصار أنقرة . كما أن الحدود المفتوحة سوف تُساعد تركيا فى مسعاها للحصول على عضوية الاتحاد الأوربى ولإزالة أحد أسباب التوتر المهمة فى علاقة أنقرة بالمجتمع الدولى .

وبينما أؤيد بقوة إنهاء تركيا لحصار أرمينية وتحسين العلاقات بين البلدين ، فإننى أُشارك القلق العميق لدى كثير من الأرمن والأرمن ـ الأمريكيين حول تضمين البروتوكولين إشارة إلى لجنة تاريخية تستعرض الماضى ـ بما يشمل الإبادة الأرمنية . وأخشى أن أرمينية ضيقة محصورة ، سوف تُجبر على قبول غسيل تاريخى من أجل إنهاء الحصار العقابى الذى يعيق نموها الاقتصادى ويُهدد بالحكم على جيل آخر من الأطفال الأرمن للفقر .

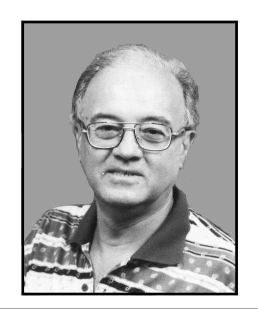
وفى الأشهر الأخيرة ، اقترح البعض ، ومن ضمنهم بعض من فى حكومتنا ، الإيحاء بأن مهمة اللجنة لا يُقصد بها أن تكون أداة لاستعراض تاريخ الإبادة الأرمنية ورسالتكَ تصفها بأمانة كأداة لاستمرار عقود من نكران أنقرة ، وتؤيد تفسيرى الخاص للجنة المنصوص عليها فى البروتوكولين .

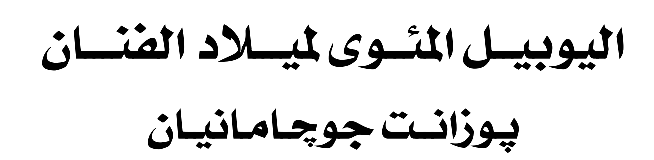
إن أحسن طريقة لضمان الاعتراف بحقيقة الإبادة الأرمنية هى أن يتحرك كونجرس الولايات المتحدة لإحياء ذكرى الضحايا الآن ، بينما لايزال بيننا حفنة من الباقين على قيد الحياة . وبالتحدث الآن ، وبالنيابة عن الشعب الأمريكى ، فإن الكونجرس يستطيع أن يحبط أية مجهودات تبذلها تركيا لإجبار ضحايا واحدة من أكبر جرائم التاريخ على التعاون فى إنكار حدوثها أبداً . إن التصالح الحقيقى بين تركيا وأرمينية لابد أن يُبنى على أساس من الحقيقة

المخلص

آدم ب. شيف

عضو الكونجرس





اليوبيل المئوى لميلاد الفنان
پوزانت جوچامانيان

بقلم : هرانت كشيشيان

مر العام الماضى قرن على ميلاد المصوِّر پوزانت جوچامانيان (١٩٠٩ ـ ١٩٩٣) ، الذى يُعد بفضل أسلوبه الفنى التعبيرى المميز واحداً من أهم الفنانين الأرمن المصريين خلال القرن العشرين . ونكتب هذا المقال تكريماً لذكراه ولإظهار أهمية الفنان ليس فقط فى إطار الفنانين الأرمن المصريين ، بل أيضاً فى إطار الثقافة المصرية الحديثة وكذلك فى إطار ثقافة شعوب الشرق الأوسط بصفة عامة .

بادئ ذى بدء سنُقسم حياة الفنان إلى ثلاث مراحل متتالية:

أولاً : المرحلة المبكرة ، التى تُغطى حياته منذ ميلاده وحتى قدومه إلى مصر فى عام ١٩٢٧ .

ثانياً : المرحلة الوسطى ، وهى مرحلة حياته المصرية، حيث تمكن الفنان خلالها من تخطى مآسى طفولته وصباه، واتجه بإصرار صوب بناء مستقبله المزدهر سواء كإنسان أو كفنان، وتوصل خلال الأربعينيات من القرن الماضى إلى أسلوب شخصى قوى عُرف به فى الأوساط الفنية فى مصر وخارجها . وتنتهى هذه المرحلة منذ أن رحل عن مصر مع زوجته فى عام ١٩٦٩ .

ثالثاً : المرحلة المتأخرة ، وتبدأ فى عام ١٩٦٩ عندما كان الفنان فى الستين من عمره . فترك مصر حتى يصل أخيراً إلى الولايات المتحدة (بعد فترة انتقالية عاشها فى لبنان) .

ويمكننا تسمية هذه المرحلة بالمرحلة الأمريكية ، لكن مع الأخذ فى الاعتبار بأنه لم يتأثر إطلاقاً بالتيارات الفنية السائدة ذات الطبيعة العابرة فى الولايات المتحدة ، على عكس البعض الآخر من الفنانين الأرمن المصريين . وهناك تطور أسلوبه بشكل طبيعى وتلقائى إلى نوع من التعبيرية الصريحة ، أكثر صرامة وأكثر قوة من أسلوبه التعبيرى العاطفى السابق .

❁ ❁ ❁

وُلد پوزانت جوچامانيان بالمدينة التركية الساحلية طرابيزون ، المركز الإدارى للولاية العثمانية بنفس الاسم ، وذلك فى ٣١ ديسمبر ١٩٠٩. وتقع طرابيزون على الساحل الشمالى الشرقى لآسيا الصغرى . وكانت وقت دخول تركيا العثمانية الحرب العالمية الأولى فى عام ١٩١٤ مدينة يعيش فيها حوالى ٤٠٠٠٠ نسمة . وكان تعداد الأرمن منهم هو ١٥٠٠٠ نسمة ، أى ٣٧,٥ ٪ من العدد الكلى .

وعندما بدأت المأساة الكبرى للشعب الأرمنى فى ربيع عام ١٩١٥، كان عمر پوزانت حوالى خمسة أعوام ونصف العام . أما عائلته ، فكانت تتكون من الوالد مجرديتش والوالدة أزنيف وثلاثة أبناء ، بنتان وصبى. الأخت الأكبر سناً كانت تُسمى أنيج والصغرى تُسمى أدرينيه ثم «آخر العنقود» پوزانت. علاوة على ذلك نقرأ فى أحد المراجع أنه كان لپوزانت عماً

يعمل مدرساً للفن فى المدرسة الأرمنية بالمدينة ، وكان أول من شجع يوزانت على ممارسة الرسم .

ومع إن يوزانت يُعد من ضحايا المذابح ، إذ أن والده وعمه قُتلا وتشتت شمل الأسرة ، فإنه يُعد محظوظاً بسبب إنقاذ حياته ولم يمت جوعاً أو قتلاً . أما أختاه فنجيا من الهلاك بفضل توجههما سيراً على الأقدام فى اتجاه الحدود الروسية على خُطى الجيش الروسى المنسحب . إذ أنه حدث فى إطار العمليات الحربية أن جيشاً روسياً قادماً براً وبحراً استولى على منطقة طرابيزون فى عام ١٩١٦ ، فدخل المدينة فى ٥ أبريل ومكث بها حتى انتهاء الاشتباك العسكرى الروسى مع الأتراك فى أكتوبر ١٩١٧، فانسحب شرقاً إلى حدوده السابقة . وقد ذهب معه العديد من الأرمن واليونانيين ناجين بذلك من الموت المحقق . أما الوالدة أزنيڤ فركبت سفينة روسية متجهة إلى شبه جزيرة القرم. وهكذا تشتت شمل الأسرة .

❀ ❀ ❀

أثناء تلك الأحداث ، كان يوزانت طفلاً . والسؤال هنا ، ماذا حدث له أثناء الفوضى التى سادت طرابيزون فى ربيع ١٩١٥، كسائر المدن التركية الأخرى ؟

لقد حدث أثناء ذلك أن بعض الأتراك والأكراد الذين أشفقوا على الأطفال الأرمن ، أخذوهم تحت حمايتهم . وربما كان هدف البعض منهم هو الاستفادة من هؤلاء بتشغيلهم فى المنزل أو الحقل . وعلى كل حال ، بهذه الطريقة تم إنقاذ حياة الآلاف من أيتام الأرمن . ومن حقائق حياة يوزانت أنه عاش حتى أواخر عام ١٩١٨ أو أوائل عام ١٩١٩ مع بعض الأكراد، وهكذا تم إنقاذ حياته . ولقد رأينا أن الأسرة تفرقت ، ولكن لا نعرف تفاصيل الأحداث . وعلى العموم تحدث مثل هذه الأمور أثناء الأحداث التاريخية المأساوية التى تُصيب الشعوب . وهنا نستطيع أن نفترض أن بعض الأمهات الأرمنيات أعطين أبناءهم الصغار طوعاً لجيرانهم من الأتراك والأكراد ، وفضلن ذلك على إبقائهم معهم وبالتالى تعريضهم للموت المحقق . وهناك حادثة معروفة حدثت فى طرابيزون بالذات . وهى أنه بعد الترحيل الإجبارى للجزء الأكبر من الشعب الأرمنى ، تخلف عدد من الأطفال التائهين والضالين ، فجمعهم الأتراك ووضعوهم فى مراكب وذهبوا بهم إلى عرض البحر فألقوا بهم فى المياه فغرقوا جميعاً . وخلال هذه العملية ، قامت بعض السيدات التركيات بـ «شراء» عدد من الأطفال المتواجدين بالمراكب قبل إقلاعها ، فأنقذوهم وتبنوهم .

ولقد انتهت الحرب العالمية الأولى بالنسبة لتركيا العثمانية على إثر هزيمتها الساحقة من دول الوفاق ، فأبرمت معاهدة مودروس بينها وبين بريطانيا العظمى فى ٣٠ أكتوبر ١٩١٨ . وفور انتهاء الحرب تأسست فى مدن تركية عديدة بواسطة قلة من الأرمن الباقين ملاجئ للأيتام ، وبدأت حركة واسعة لجمع هؤلاء الأيتام . ولقد استخدمت مبانى المدارس الأرمنية السابقة وكذلك بعض المستشفيات لهذا الغرض الإنسانى . وفى إطار هذه الحركة نجد أنه فى أواخر عام ١٩١٨ أو أوائل عام ١٩١٩ قد أسس المطران كاريكين خاتشادوريان مع قلة من المثقفين الأرمن ملجأً للأيتام فى طرابيزون ، ضم حوالى مائتين من الأيتام من الجنسين ، تم تجميعهم من العائلات التركية والكردية التى يعيشون فى كنفها . وكان يوزانت واحداً من هؤلاء وعمره حوالى تسعة أعوام .

وفى عام ١٩٢٢ وتحت ضغط زحف القوات الكمالية نحو العاصمة الأستانة ، تم إغلاق ملاجئ الأيتام كلها وتسلمت اللجنة الأمريكية للإغاثة فى الشرق الأدنى مسئولية حماية ورعاية آلاف الأيتام . فقامت بإخراجهم من الأراضى التركية ونقلتهم بالسفن إلى ميناء كورنتوس باليونان. ومن هناك وُزع الأيتام الذين كان عددهم حوالى ٢٠٠٠٠ يتيماً من الجنسين على ملاجئ مختلفة فى سائر أنحاء اليونان مثل لوتراكيون (إلى الشمال من كورنتوس) وجزر سيرا وكيفالونيا وزاكنتوس وكذلك أثينا .

ولقد كان يوزانت من الأيتام الذين نُقلوا أولاً إلى كورنتوس ومنها إلى جزيرة سيرا ، وبعد فترة (ربما فى عام ١٩٢٤) لاحظ المسئول الأرمنى فى الملجأ موهبته الفنية وموهبة اثنين آخرين من الصبية . فأرسل الثلاثة إلى أحد ملاجئ أثينا حتى يدرسوا الفن هناك .

ولقد درس بوزانت الفن فى أثينا حوالى عامين مع مدرس رائع وهو الفنان لوكاس يراليس Lucas Yeralis ، الذى لقنه الكثير موضحاً له أهمية دراسة الطبيعة، كذلك دراسة كلاسيكيات الفن، والاعتماد عليهما فى الإبداع الفنى . ومن المؤكد أن الصبى بوزانت شاهد عن قرب الروائع من أيقونات الفن البيزنطى لأن التأثير القوى لهذه الأيقونات كان واضحاً ـ فيما بعد ـ على أسلوبه الفنى الناضج . وهذه الحقيقة لم يلحظها جميع النقاد والمحللين الذين كتبوا عن فنه . وفى رأينا أن تأثير الفن البيزنطى كان الحاسم والأهم فى تشكيل الأسلوب الفنى لبوزانت جوچامانيان ، والذى تميز بالرقاب الممتدة والرؤوس المنحنية المائلة بحنان ورقة ، بل وبصفة عامة بعملية الأسلبة والتبسيط المستمدتين إلى حد كبير بمثيلتهما فى فن التصوير البيزنطى .

عودة إلى ملاجئ الأيتام الأرمن باليونان ، سنقول بأنه على الرغم من صعوبة المعيشة بها ، إذ كانت اليونان نفسها تُعانى من أزمات الحروب المدمِّرة ، فإن الأيتام كانوا سعداء لأنهم حصلوا أخيراً على الأمن والأمان، وكانوا علاوة على ذلك يحصلون على تعليم أولى ويتعلمون بعض الحرف .

ولكن الذى حدث أن الحكومة اليونانية بعد فترة بدأت تُلح على فكرة توزيع الأيتام على سائر الجاليات الأرمنية بحوض البحر المتوسط . وفعلاً بدأت اللجنة الأمريكية للإغاثة منذ عام ١٩٢٤ بتوزيعهم على هذه الجاليات ، ولكنها لم تتخلَ عنهم ، بل استمرت فى رعايتهم فى البلاد التى ذهبوا إليها .

ولقد وصلت إلى مصر فى الفترة من عام ١٩٢٤ إلى عام ١٩٢٩، ٨٠٦ يتيمة وحوالى ٣٠٠ من الأيتام البنين ، وزعوا بين القاهرة والإسكندرية . وكان بوزانت من بين الذين أُرسلوا إلى مصر فى عام ١٩٢٧، وهو فى الثامن عشر من عمره . وهنا يجب أن نلاحظ بأنه لم يكن يعرف شيئاً لا عن مصر ولا عن اللغة العربية ، لكن منذ لحظة وصوله بدأت مرحلة جديدة تماماً فى حياته ، وهى «المرحلة المصرية» التى أنجز فيها الكثير وتحول أثناءها من إنسان مغلوب على أمره إلى إنسان صاحب أمره .

❁ ❁ ❁

فور وصول بوزانت إلى القاهرة ، وجد الفرع القاهرى للجنة الأمريكية للإغاثة غرفة مناسبة بشقة عائلة أرمنية بحى شبرا (وبالتحديد فى شارع مسرة) لكى يعيش بها الفنان الشاب . وفى نفس الوقت وجدوا له وظيفة رسام فى مطبعة قريبة بروض الفرج للطباعة على الكرتون ، أسسها أرمنى اسمه هاروتيون أميرايان .

عمل بوزانت فى هذه المطبعة ، وفى نفس الوقت درس الفن مسائياً فى مدرسة ليوناردو داڤنشى لمدة ثلاث سنوات (١٩٢٧ ـ١٩٣٠) . وقد لاحظ صاحب المطبعة مواهب بوزانت ، وبتأييده ومؤازرته تم إرسال الفنان الشاب إلى إيطاليا فى عام ١٩٣٠ للدراسة فى أكاديمية الفنون الجميلة بروما. ولقد مكث هناك أربعة أعوام ، حيث عاد فى عام ١٩٣٤ وفى حوزته دبلوم الأكاديمية . والملاحظ أن بوزانت تمكن فى إيطاليا من زيارة مدن أخرى مثل فلورنسا وڤينسيا حتى يستفيد من روائع الفن المتواجدة هناك ، علاوة على ما هو موجود بروما .

عاد الفنان الشاب إلى القاهرة وهو ناضج تقنياً بعد كل تلك السنوات الدراسية الممتدة ، ولكن كان عليه منذ تلك اللحظة ابتكار أسلوب شخصى يتميز به بين سائر الفنانين . فبدأ العمل باجتهاد ومثابرة ، وبالطبع كان ذلك إلى جانب عمله فى مطبعة أميرايان التى تبدل اسمها فى الثلاثينيات الماضية إلى مطبعة روز ماتوسيان وشركاها ، حيث اشترت هذه السيدة المطبعة غالباً بعد وفاة مؤسسها وصاحبها الأول هاروتيون أميرايان .

اشترك الفنان لأول مرة فى صالون القاهرة عام ١٩٣٥، ولقد تعرف جمهور الفن والفنانون على فنه منذ ذلك التاريخ. واشترك ـ فيما بعد ـ فى معارض جماعية كثيرة من أهمها : معارض صالون القاهرة ، ثم معارض بينالى ساوباولو

(١٩٥٢) وبينالى الإسكندرية ثلاث مرات (١٩٥٥، ١٩٦١ ، ١٩٦٣) ، بينالى فينسيا (١٩٥٦). لكن أهم معارض جماعية اشترك بها هى المعارض الجماعية الثلاثة للفنانين الأرمن المصريين التى أُقيمت على التوالى بالقاهرة (١٩٤٥) وبالإسكندرية (١٩٥٣) ثم بالقاهرة (١٩٥٨) . وفى رأينا أن هذه المعارض الثلاثة تُمثل قمة نشاطات الفنانين الأرمن المصريين على مدى القرن العشرين كله .

لكننا نعتقد أن المعارض الفردية هى التى تُشكل الإنجاز الحقيقى لأى فنان تشكيلى لأنها تُعطى فكرة شاملة عن فنه ، وإن كان ليس شرطاً أن تُقوم شهرة الفنان أو أهمية فنه تاريخياً على عدد المعارض الفردية التى أقامها فى حياته . فالمسألة التقييمية الحاسمة فى الفن بالذات هى مسألة الكيف وليس الكم.

ولقد أقام پوزانت فى حياته ٢٦ معرضاً فردياً ، بدءاً بمعرضه الفردى الأول الذى أُقيم بالقاهرة بقاعة الشركة الشرقية للإعلان فى الفترة من ٢٦ نوفمبر إلى ١٠ ديسمبر ١٩٤٤، ومنتهياً بالمعرض الذى أُقيم لأعماله بأتلانتا (كاليفورنيا) بالولايات المتحدة ، خلال الفترة من ٣٠ نوفمبر إلى ٢ ديسمبر ١٩٩٠ . وكان هذا المعرض تكريماً له بمناسبة عامه الـ ٨٠ وأيضاً بمناسبة مرور ٦٠ عاماً على نشاطه كفنان محترف ، أى أنه اعتبر عام ذهابه إلى روما للدراسة الأكاديمية هو بداية انطلاقه كفنان .

بالنسبة لمعارضه الفردية ككل فمن أهمها إطلاقاً هو ذلك المعرض الذى أُقيم فى قاعة الصحفيين بيريڤان عاصمة أرمينية (السوڤيتية) فى الفترة من ٥ إلى ١٥ سبتمبر ١٩٨٣ . ولقد عرض ٦٨ لوحة من إنتاجه فى مراحل مختلفة ، وأهدى ١٦ عملاً للمتحف القومى الأرمنى .

وتكمن أهمية هذا المعرض بالنسبة له فى كونه أول (وآخر) معرض أُقيم لأعماله فى أرمينية ، فلأول مرة كان جمهور متذوقى الفن فى أرمينية يتقابل «وجهاً لوجه» مع فنه التعبيرى القوى الذى لم يشاهدوا مثله قبلاً !!

من جهة أخرى كان الفنان يرى أرمينية (مع زوجته) لأول وآخر مرة . ومن محاسن الصدف أنه تقابل مع أخته الكبرى أنيج بعد تلك الأعوام الطويلة من الفراق ، أما الأخت الصغرى أدرينيه فكانت قد تُوفيت قبل ذلك التاريخ.

وتُعد زيارة پوزانت مع زوجته السيدة شاكيه لأرمينية حدثاً مهماً بالنسبة لى أنا أيضاً . إذ أننى تمكنتُ من مقابلة أستاذى الأول فى الفن لآخر مرة ، لأننى كنتُ أعيش فى تلك الفترة بيريڤان . وكنتُ قد تتلمذتُ على يديه لعدة سنوات وأنا تلميذ بمدرسة كالوسديان الأرمنية ببولاق فى أواخر خمسينيات القرن الماضى. وعندما كنتُ أقابل الفنان الكبير بعد ذلك من حين لآخر هنا وهناك، كان يسأل عن أخبارى الفنية ويُشجعنى ، فأصبحنا كالأصدقاء . وأتذكر أننى قابلته فى مصر لآخر مرة بحديقة الحيوان بالجيزة ، وكان ذ لك فى أحد أيام شهر أكتوبر ١٩٧٣ . إذ كنتُ أُجهز نفسى للسفر إلى أرمينية ، أما هو فكان قد جاء من الولايات المتحدة مع ابنه إلى القاهرة كى يتصرف فى شقته حيث كان قد هاجر إلى أمريكا نهائياً .

وكانت حديقة الحيوان من أحب الأماكن التى كان يزورها الفنان فى مصر حتى يقوم بعمل الإسكيتشات لسائر الحيوانات ولاسيما الغزلان . ولقد كانت هذه الكائنات الرقيقة من أهم «موتيفات» فنه ، لدرجة أنه عُرف بفنان الغزلان منذ أوائل الخمسينيات . ولقد سألته أثناء لقائى معه بأرمينية لماذا يُصوِّر الغزلان كثيراً فى لوحاته . أجاب قائلاً : «لأننى أُعبر بواسطتها عن الطيبة والجمال» . فهى حيوانات طيبة ووديعة ومن أجمل الكائنات على الأرض . وعلاوة على زياراته العديدة لحديقة الحيوان ، كان الفنان أثناء سنوات حياته بمصر يزور من حين لآخر الريف لرسم الإسكيتشات للحيوانات والفلاحين الذين كان يعتبرهم أفضل مثال على البساطة والطيبة الإنسانية . ولقد عبر عن مشاعر الاحترام والحب تجاههم فى بعض لوحاته. وفى الواقع تُعد مجموعة لوحاته عن الفلاح المصرى تعبيراً رمزياً عن حبه واحترامه لمصر بصفة عامة . وقد استمر الفنان فى معالجة هذا الموضوع بعد رحيله

عن مصر ، ولكن فى هذه المرة كان تعبيراً عن حنينه لها .

عودة إلى الحياة الشخصية للفنان ، سنذكر أنه تزوج فى عام ١٩٤٤ من فتاة باهرة الجمال اسمها شاكيه أبويان، ولقد أنجبا ثلاثة أبناء هم : أسدغيج التى ُولدت فى عام ١٩٤٥ ، ثم أزنيف التى ُولدت فى عام ١٩٤٨، و أخيراً مجرديتش الذى ُولد فى عام ١٩٥١ .

ومن أطرف حقائق حياة الفنان أنه كانت هناك غرفة بشقتهم مخصصة له يتخذها ستوديو لفنه ، كان دخولها محرماً على أى شخص غيره . إذ كان يعدها المكان المقدس الذى ينزل فيه عليه «الوحى» !!

عاش الفنان حياة سعيدة فى مصر ، ولقد تشبع بروحها وأحب شعبها . وكان يُشارك فى كثير من الأنشطة الثقافية ، وكان حضوره شبه دائماً سواء على مستوى الجالية الأرمنية أو على مستوى الأنشطة الثقافية المصرية بصفة عامة. وفى إطار أنشطته الفنية ، نظم الفنان حتى عام ١٩٦١ خمسة معارض فردية لأعماله ، منها ثلاثة بالقاهرة فى أعوام ١٩٤٤و ١٩٥٠ و ١٩٦١ ومعرضين بالإسكندرية عامىّ ١٩٤٥ و ١٩٥١ . ونظم معرضاً فردياً واحداً فى جاليرى فخر الدين ببيروت فى عام ١٩٥٩ . وبعد ذ لك وحتى عام ١٩٦٨ اكتفى بالاشتراك فى المعارض الجماعية فى كل من القاهرة والإسكندرية ، وكان آخرها معرض صالون القاهرة رقم ٤٤.

ومرت الأيام فتزوجت ابنته الكبرى أسدغيج من طبيب مصرى قرر الانتقال للإقامة بالولايات المتحدة . وعلى أثر ذلك، قررت الأسرة أيضاً الانتقال إلى هناك فى عام ١٩٦٩. فذهبوا وعاشوا فترة «انتقالية» فى لبنان ١٩٦٩ ـ ١٩٧٢ ثم سافر إلى الولايات المتحدة . ولكن الفنان عاد إلى مصر مع ابنه فى بداية أكتوبر ١٩٧٣ للتصرف فى شقتهم بشبرا ثم ذهب إلى بيروت ونظم معرضاً فردياً لأعماله فى فبراير ١٩٧٤ بمركز أليك مانوجيان للفنون ، بعد ذلك سافر إلى الولايات المتحدة وعاش هناك حياتاً مفعمة بالإبداع وتنظيم المعارض الفردية . كذلك زار أوربا مع زوجته عدة مرات للتمتع بجمالها الخلاب ، وزارا الاتحاد السوڤيتى مرة واحدة (فى سبتمبر ١٩٨٣). وأيضاً بعد سفره إلى الولايات المتحدة ، زار الفنان مصر عدة مرات لإشباع حنينه إليها .

هكذا عاش الفنان پوزانت جوچامانيان حياة مديدة ، مليئة بالإبداع والسعادة . وظل يبدع حتى أوائل ١٩٩٣ وبعد ذلك توقف بسبب مرضه ، فتوفى بمنزله بلوس أنجلوس فى ١٦ ديسمبر ١٩٩٣ .

كان الفنان قصير القامة ، ذو وجه ممتلئ وبشوش يُعبر عن شخصيته القوية وفى نفس الوقت يُعبر عن الطيبة ، طيبة الفنانين العظام .

فن پوزانت جوچامانيان :

بعد استعراضنا لحياة الفنان ، آن الأوان لإلقاء نظرة شاملة على فنه. ويمكننا تقسيم هذا الفن إلى ثلاث مراحل تطورية متتالية . فالمرحلة الأولى تبدأ منذ بداياته الأولى وتستمر حتى أوائل الأربعينيات من القرن الماضى. ونجده فى هذه المرحلة المبكرة يُعالج فى فنه الموضوعات التقليدية المتوازنة من المنظر الطبيعى والبورتريه والزهور ... إلخ . أما من حيث الأسلوب فنجده قد تخطى عملياً خلال الثلاثينيات الواقعية الأكاديمية التقليدية متجهاً إلى أسلوب كان مزيجاً من التأثيرية والتعبيرية . وكانت الأشكال لديه مبسطة ومؤسلبة ، وتشتمل على درجة بسيطة من التشويه الفنى .

بالنسبة لعنصر اللون ، كان يستخدم كثيراً الألوان الساخنة قوية التشبع ، فنجدها موضوعة على مسطحات لوحاته فى شكل مساحات تتجاور وتتباين وتتكامل مع الأزرق البارد بدرجاته المختلفة والمدعومة أحياناً بالأخضرات . أما اللون البنفسجى فهو غائب تماماً . وكان يلجأ إلى استخدام الألوان الثلاثية والرماديات فى حالات نادرة ، إذ كانت بالنسبة له من الألوان المساعدة فقط .

وتتواجد اليوم فى مجموعة السيد نيرسيس پاپازيان بمصر الجديدة ست لوحات لپوزانت أبدعها فى عام ١٩٣٤ . تُمثل هذه المجموعة المهمة على أكمل وجه فنه فى مرحلته الأولى ،

فهى كلها مناظر طبيعية خيالية تُشبه «الحلم» ، تُعبر عن السعادة والتفاؤل ، خالية تماماً من الدراما الإنسانية العميقة التى نجدها فى فنه الناضج بمرحلته الثانية . والأشكال البشرية فى هذه اللوحات نادرة الوجود ، وإن وجدت فهى تُمثل بعداً زخرفياً ثانوياً .

ومنذ أوائل الأربعينيات زاد اهتمام الفنان بالعامل الإنسانى أكثر فأكثر ، إلى أن أصبحت الموضوعات التى تُعبر عن «العلاقات الإنسانية» كالعائلة والصداقة والحب والعشرة بين البشر ... إلخ ، من أهم الموضوعات لديه . أيضاً بدأت تظهر لديه تدريجياً إسقاطات من تجارب الماضى كانت بمثابة التعويض السيكولوچى الجمالى عن إحباطاته المبكرة . فبدأ فنه ينطبع أحياناً بطابع مأساوى . لكن فى نفس الوقت كثيراً ما كان يُعبر عن تفاؤله تجاه الحياة بصفة عامة . فلم يقع قط فى دائرة التعبير عن اليأس المطلق .

وفى أواسط الأربعينيات بدأت لديه المرحلة الثانية ، مرحلة النضج الفنى التى خلق من خلالها بعض الروائع الفنية . وتطور أسلوبه فى اتجاه تعبيرية شاعرية مستنبطة من الفن البيزنطى من جهة ، ومن تعبيرية القرن العشرين من جهة ثانية ، ولقد تخطى تماماً تأثيرية القرن التاسع عشر . وأصبح منذ ذلك التاريخ الفنان پوزانت جوچامانيان كما نعرفه اليوم وكما سيبقى فى ذاكرة متذوقى الفن .

واستمر الفنان فى تطوير أسلوبه التعبيرى الناضج بخطى ثابتة حتى أواخر الستينيات ، أى أواخر هذه المرحلة الثانية من فنه . وسنتحدث الآن عن ثلاث لوحات تُعبر فى رأينا عن خلاصة فنه فى هذه المرحلة .

أولاً : لوحة عنوانها «عالمهم» التى صوّرها قبل عام ١٩٤٥. إذ كانت ضمن لوحاته العشر المعروضة فى المعرض الجماعى الأول للفنانين الأرمن المصريين بالقاهرة والذى نظمته جماعة أصدقاء الثقافة الأرمنية فى عام ١٩٤٥، تُمثل هذه اللوحة أسرة ريفية مصرية . فهناك فلاح جالس على الأرض على اليسار ، وإلى اليمين نجد زوجته الفلاحة جالسة وفى حجرها طفل رضيع ، وفى الخلفية نجد «جاموسة» تتكامل تشكيلياً مع الكتلة الأمامية للأسرة . إن هذه اللوحة تُعبر رمزياً عن حب واحترام الفنان للشعب المصرى ، حيث كان يعتبر الفلاح بمثابة الإنسان المصرى الأكثر بساطة وطيبة .

ثانياً : لوحة «الأم وأطفالها» . وقد نشر أونيج أڤيديسيان صورة فوتوغرافية ملونة لهذه اللوحة المهمة فى كتابه الكبير الذى صدر عام ١٩٥٩ بالقاهرة . وكان ذلك اختياراً موفقاً منه بدون شك لأن هذا العمل يُعد من أهم أعمال پوزانت على الإطلاق .

ونرى فى هذه اللوحة أماً «تحتوى» أبناءها الثلاثة، وهم صبى وفتاتين . ونفهم من عنوان اللوحة أنها عن الأمومة ، فهكذا استوعبها المتذوقون إلى اليوم. ولابأس فى ذلك . لكن فى الواقع فإن اللوحة أكثر من ذلك بكثير . فبالمعاينة الدقيقة للوحة وتحليلها سيكولوچيا ، مع الأخذ فى الاعتبار كل تفاصيل الحياة المبكرة للفنان ، سنكتشف بأننا حيال أم الفنان نفسه . أما الصبى فهو الفنان الصغير ، والأختان هما ببساطة أختاه أنيج وأدرينيه . ولا وجود للأب فى اللوحة ، إذ أنه غائب لأنه قُتل قبل ذلك بوقت قصير فأصبحت الأسرة الحزينة بدون أب . ويظهر هذا الحزن بوضوح تام فى نظرات الشخصيات الأربعة للوحدة .

وتقول الحقيقة أن الأسرة تفرقت . فالأم أزنيف نُقلت بسفينة روسية إلى شبه جزيرة القرم ، أما الأختان فذهبا مشياً على الأقدام إلى الحدود الروسية . أما هو فبقى يتيماً «وحيداً» وفى النهاية تم إرساله إلى مصر . وبذا ، تفتت شمل الأسرة ، وافتقد الفنان إلى الدفء العائلى .

ولكن پوزانت يُعوِّض نفسياً فى لوحته هذه الحقيقة الأليمة ، وذلك «بجمع شمل الأسرة من جديد». ولكن اللوحة جاءت كعمل مأساوى وإن كان يُعبر عن الحب الأسرى فى نفس الوقت . وهنا ، كان الفن بمثابة التعويض النفسى لواقع «ضائع» ، لكن بطريقة جمالية . ويجب أن نلاحظ أيضاً بأن فى خلفية اللوحة صوّر الفنان الطبيعية الجبلية لمنطقة طرابيزون ، مما يُؤكد نظريتنا أكثر . فهل ثمة شك بعد ذلك فى أن هذه اللوحة عبارة عن إسقاط نفسى تعويضى ناجح لحالة وجدانية

محبطة لدى الفنان؟ إن تحقيق التعويض الفنى للرغبات المُحبطة للفنان هو من أهم وظائف الفن .

ثالثاً: لوحة عائلة غزلان ، صُوِّرت فى عام ١٩٦٧ .

على عكس اللوحة السابقة ذات الطبيعة المأساوية ، فإن هذه اللوحة تُعبر عن التفاؤل والسعادة والجمال فى الحياة. وهى فى رأينا تُمثل ذروة مرحلته الثانية التى تنتهى فى عام ١٩٦٩ .

لقد كان للفنان عائلة صديقة تعيش فى مصر الجديدة بالقاهرة تتكون من أب وأم وابنتين . وفى عام ١٩٦٧ رزقت هذه الأسرة بابنة ثالثة . فصوّر الفنان لوحة زيتية تُمثل غزالين كبيرين فى أشكال إنسانية جميلة . وفى الخلفية بأعلى اللوحة صوّر غزالتين صغيرتين نسبياً ، أما فى الأمامية وبأسفل اللوحة صور غزالة صغيرة «وليدة» . فإذن هذه اللوحة تُمثل رمزياً العائلة الصديقة للفنان وهى من أجمل لوحاته على الإطلاق . فلقد أهداها بالطبع لتلك العائلة .

والمجموعة اللونية لهذه اللوحة هى المجموعة اللونية الأساسية لدى الفنان والتى تحدثنا عنها سابقاً ، وهى تتكون من الألوان الساخنة الثلاثة ، الأحمر والبرتقالى والأصفر، متواجدة فى حالة تآلف مع الأزرق بدرجاته المختلفة . أما الأبيض وقليل من البنى وخطوط دقيقة من الأسود ، فهى تُمثل المجموعة اللونية المساعدة (أى التى ليست أساسية فى بناء التكوين اللونى للوحة) .

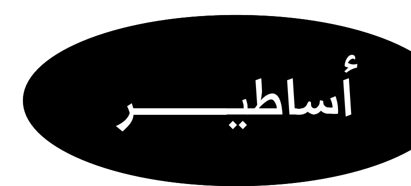
عندما انتقل الفنان بأسرته إلى الولايات المتحدة فى عام ١٩٧٢ ، بدأت معه مرحلة فنية جديدة . وفى البدء كانت هناك مرحلة انتقالية ربما استمرت عدة أعوام قليلة . ولقد تطور فنه تدريجياً إلى أن وصل فى ثمانينيات القرن الماضى إلى درجة نضج جديدة تخطى من خلالها التعبيرية العاطفية السابقة متوصلاً إلى تعبيرية صريحة تستمد الكثير من جمالياتها من الفن المصرى القديم .

وقد وصلت عملية الأسلبة فى فنه إلى ذروتها ، وأصبحت للخطوط المستقيمة العنيفة دور حاسم فى الكثير من لوحاته ، بعد أن كانت الخطوط الانسيابية هى الأساسية فى مرحلته السابقة . وبدأ يستخدم مجموعات لونية جديدة تماماً على فنه كالبنيات والرماديات .

وبصفة عامة ، فإن الفنان پوزانت جوچامانيان أصبح فى مرحلته الفنية الثالثة (الأخيرة) فناناً عقلانياً بعد أن كان فى مرحلته الثانية (الوسطى) فناناً عاطفياً . ولكن ذلك لا يعنى أن فنه فى مرحلته الأخيرة أصبح خالياً من العواطف والوجدان ، فهو بطبيعته كان إنساناً عاطفياً ، يتفاعل نفسياً مع جميع الأحداث وينفعل وجدانياً أثناء ممارسته لعملية الإبداع ، وكل ما هنالك أنه مع الأيام ومع نضجه كإنسان أصبح الجانب العاطفى لديه تحت سيطرة عقلانية تامة . فالمشاعر لديه لم تعد طليقة كـ «حصان جامح» كما هو الحال فى مرحلته الثانية . وهنا أعتقد بأننى قد أعطيتُ صورة عامة عن حياة وفن الفنان الكبير پوزانت جوچامانيان .

وسنضيف أخيراً أنه بمناسبة مرور قرن على ميلاده وتكريماً لذكراه ، أقامت جمعية القاهرة الخيرية الأرمنية العامة بالتعاون مع مركز الهناجر للفنون ، معرضاً جماعياً كبيراً لأعمال الفنانين الأرمن المصريين من مختلف الأجيال ، وذلك فى الفترة من ٢٣ إلى ٢٩ نوفمبر من العام الماضى . ولقد ضم هذا المعرض عشرة أعمال من إبداعات پوزانت إلى جانب نماذج من أعمال ٣٧ فناناً يمثلون سبعة أجيال متتالية ، بدءاً برائد الفن الأرمنى المصرى الحديث يرڤاند دميرچيان (١٨٧٠ - ١٩٣٨) ومنتهياً بممثل الجيل السابع الفنان الشاب كيغام چفاليان (من مواليد ١٩٨٤) ، الذى درس الفن بالجامعة الأمريكية بالقاهرة .

وتم إعداد كتالوج مهم بمناسبة هذا المعرض قدم فكرة مقتضبة عن كل فنان مع تقديم نموذج أو نموذجين من أعماله . أما المقدمة فكتبها صاحب هذا المقال . ويُعد هذا الكتالوج اليوم مدخلاً جيداً لمن يُريد دراسة الفن الأرمنى المصرى الحديث .



من الأساطير اليونانية عن منطقة القوقاز القديمة

بقلم : أ. د. ماجدة النويعمى

الأسطورة التى أنا بصدد الحديث عنها جرت أهم أحداثها فى إقليم كولخيس Colchis بمنطقة القوقاز Caucasus القديمة. وكولخيس هى ذلك الإقليم الذى يقع عند الطرف الشرقى للبحر الأسود قديماً ، جنوب جبال القوقاز مباشرة . وتدخل هذه المنطقة فى العصر الحديث ضمن أراضى جمهورية چورچيا Georgia إلى الشمال من أرمينية وتركيا. يتكون شعب إقليم كولخيس قديماً من عديد من القبائل . وقد أقام اليونانيون محطات تجارية لهم على الساحل . ومن هنا وقعت هذه المنطقة قديماً على خارطة التفكير اليونانى ، ودخلت فى أساطيرهم .

والأسطورة التى أعنيها هى أسطورة الساحرة ميديا Medea الكولخية . وهذه الأسطورة تربط فى العالم القديم بين بلاد اليونان من جهة ومنطقة القوقاز بصفة عامة من جهة أخرى ، وكولخيس بصفة خاصة باعتبارها مسرح الأحداث .

تروى الأسطورة أن بلياس Pelias اغتصب عرش مدينة يولكوس Iolcus بإقليم ثيساليا Thessalia ببلاد اليونان من أخيه أيسون Aeson والد ياسون Iason ، وبعد أن شب ياسون طالب بعرش أبيه . وبدلاً من النزول على رغبة ياسون، لجأ عمه بلياس إلى الحيلة متظاهراً بأن مدينتهم ، يولكوس، فى خطر من جراء لعنة الآلهة ، وأن ياسون هو الوحيد الذى بمقدوره أن ينقذ البلاد من هذه المحنة ، وذلك بإحضار الفروة الذهبية المعلقة على غصن شجرة فى إقليم كولخيس، بمنطقة البحر الأسود . ووعد بلياس بأن يتنازل عن العرش لياسون، إذا ما عاد محققاً هذه المهمة ، التى لا يقوى بلياس على القيام بها نظراً لشيخوخته . وما كانت هذه إلا حيلة للتسويف ، لعلم بلياس بمشقة هذه المهمة التى قد يلقى فيها ياسون حتفه ، وبذلك يتخلص بلياس من صاحب الحق الأصلى فى العرش الذى يعتليه ، والذى يُهدد سلطانه وملكه . وكم كانت مهمة شاقة بالفعل!!

ففى غابة إله الحرب آريس Ares بإقليم كولخيس، تُوجد شجرة ضخمة عتيقة، تتدلى منها الفروة الذهبية، ويحرسها تنين شرس. ورغم علم ياسون بخطورة المهمة ومشقتها، فإنه من أجل إنقاذ شعب يولكوس، الذى سيصير ملكاً عليه، ومن أجل استرداد عرش أبيه، كان عليه أن يقبل القيام بهذه المهمة الصعبة. استنفر ياسون شباب بلاد اليونان لمصاحبته فى هذه الرحلة. وعهد إلى أرجوس Argos ـ الذى برع فى صناعة السفن ـ بصناعة سفينة ضخمة ذات خمسين مجدافاً تقله هو ومجموعة من خيرة شباب اليونان إلى إقليم كولخيس. وبعد أن فرغ أرجوس من صناعة السفينة حملت اسم أرجو، وأطلق على الرحلة التى قام بها ياسون «الأرجونوتيكا» Argonautica أى «رحلة السفينة أرجو» .

وانطلق البحارة بالسفينة، وبعد رحلة طويلة، شاقة ومضنية،

أستاذ الدراسات اليونانية واللاتينية
كلية الآداب ـ جامعة الإسكندرية

تخللتها الكثير من الصعاب، لاحت فى الأفق أمام أنظار أبطال السفينة، قمم جبال القوقاز. اتجهت السفينة إلى مصب نهر فاسيس Phasis ، وهو النهر الرئيسى الذى يروى منطقة كولخيس. حط البحارة رحالهم على الشاطئ، وأخذوا يتناقشون فى الخطة التى وضعها ياسون من أجل الحصول على الفروة الذهبية. وما كان وصولهم إلى كولخيس إلا برعاية ربات ثلاث: هيرا Hera زوجة كبير الآلهة زيوس Zeus وأثينة Athena ربة الحكمة، وأفروديتى Aphrodite ربة الحب والجمال. ولما حان وقت المهمة الصعبة للحصول على الفروة الذهبية، رتبت الربات الثلاث أن يكون نجاح المهمة عن طريق الفتاة ميديا، ابنة الملك أييتيس Aeetes ملك كولخيس، وذلك بجعل ميديا تقع فى حب البطل ياسون فتُساعده فى مهمته، وعلى إله الحب إيروس Eros ابن أفروديتى أن يتولى أمر إيقاعها فى الحب. ولم تتوان الربة أفروديتى، بل طلبت فوراً من إيروس أن يذهب إلى ميديا ابنة الملك ويرميها بسهم من سهامه النافذة، فتقع من توها فى حب ياسون. وفى الوقت نفسه كان ياسون يعرض خطته على رفاقه، وبمقتضى هذه الخطة سيذهبون إلى مدينة أيا Aea الكولخية، حيث يوجد مقر الملك أييتيس لطلب الفروة كهدية، وإن لم يتحقق لهم ذلك سيلجأون إلى الخديعة، وإن لم يكن منها جدوى فلا مفر من اللجوء إلى العنف كحل أخير.

توجه ياسون ورفاقه إلى قصر الملك أييتيس فى مدينة أيا، تلك الجزيرة رائعة الجمال، والتى تحوى بين جنباتها قصراً هو قطعة فنية فائقة، أبدع فى صنعها هيفايستوس Hephaestus إله الحدادة والنجارة. وما أن وقع نظر الملك على هؤلاء الأبطال اليونانيين حتى استشاط غضباً، إذ كيف يخترق اليونانيون البحر الأسود ويصلون إلى كولخيس، رغم أن لاوميدون Laomedon الطروادى يفرض حصاراً على المضيق المؤدى إلى البحر الأسود ليمنع اليونانيين من دخول هذا البحر. وبعد أن علم الملك بقصة هؤلاء اليونانيين وما جاء بهم إلى مملكته، ازداد غضبه، ولم تفلح معه أية وسيلة للإقناع، وهدد وتوعد. فى تلك الأثناء دخلت فتاة، غاية فى الحسن والبهاء، هى ميديا ابنة الملك. جاءت تستطلع الخبر، بعد أن سمعت صوت والدها يعلو بالوعيد لهؤلاء الأجانب. عندئذ وضع إله الحب إيروس خطته موضع التنفيذ، وصوب سهمه النافذ إلى قلب الفتاة، فصارت لا تملك من أمرها شيئاً، ووقعت فريسة الحب. واعتملت فى جوانبها رغبة عارمة نحو ياسون.

وأمام سلوك ياسون المتزن توقف الملك عن التهديد ووضع شرطاً قاسياً ـ إن لم يكن مستحيلاً ـ لحصول ياسون على الفروة الذهبية، وهو أن يخضع للنير ثورين غير عاديين، يلفظان اللهب من أفواههما، ثم يربطهما فى المحراث، ويحرث به حقل الإله آريس أربع دورات، ويبذر الحقل بأسنان أفعى ستلدها الأرض، وسيخرج من أسنانها رجال مدججين بالسلاح.

ومنذ قابل ياسون الملك أييتيس عرفت ميديا هموماً لم تعرفها من قبل، وألحت عليها الأفكار السوداء، وأصابها السهاد والقلق بعدما سمعت والدها يملى شروطه على البطل ياسون ثمناً لحصوله على الفروة الذهبية. وما كان أشقاها وقد وقعت فى حب ياسون، وتساءلت مرات ومرات كيف يُحقق ياسون نصراً فيما كلف بالقيام به، وكلها أمور تكاد تكون مستحيلة التحقيق. إن نهايته تكاد تكون محققة. وفكرت فى إنقاذه ضد رغبة والدها، إذ كيف تفقده وقد أحبته؟!! ثم فكرت وخططت، ودبرت لقاءً بينها وبين ياسون. تظاهرت ميديا بالقيام برحلة لمعبد الربة هيكاتى Hecate معها وصيفاتها. وهناك تقابلت مع ياسون على انفراد، وقدمت له المادة السحرية التى ستُهيئ له النصر، وعلّمته طريقة استخدامها. وما كان لياسون أن ينجح فى مهمته لولا قرار ميديا بمساعدته. وفى مقابل ذلك تعهد ياسون أمام الآلهة بأن يظل مخلصاً لميديا مدى الحياة.

وما أن جاء اليوم الموعود إلا ونجح ياسون فى مهمته، بفضل مساعدة ميديا، الأمر الذى أدهش الملك أييتيس، دون أن يُدرك حقيقة موقف ابنته من هذا الغريب. وبدلاً من أن يسلم

الملك الفروة الذهبية لياسون تنصل من كل وعوده التى قطعها على نفسه، وعاد لسياسة الوعيد والتهديد لياسون ورفاقه. وكان على ميديا أن تكمل وعدها بمساعدة ياسون حتى النهاية للحصول على الفروة الذهبية. فرت ميديا من القصر، وأعد الجميع العدة للرحيل عن كولخيس بسفينتهم، التى أقلت على ظهرها ميديا لتواصل مهمتها حتى النهاية، وتعود مع ياسون ورفاقه إلى بلاد اليونان. رحل الجميع عن مدينة أيا سراً، وأرشدتهم ميديا إلى مكان معبد الإله آريس، حيث تُوجد الشجرة الضخمة التى تتدلى منها الفروة الذهبية، فى حراسة تنين وحشى. ونجحت ميديا مستخدمة وسائلها السحرية فى أن تجعل التنين يغط فى سبات عميق. وبذلك استطاع ياسون أن يحصل على الفروة الذهبية. ولما اكتشف كهنة معبد الإله آريس الأمر، صاحوا صيحات مدوية، معلنين لأهل كولخيس سرقة الفروة الذهبية. تجمع الأهالى وعلى رأسهم الملك أييتيس، وخاضوا معركة حامية مع ياسون ورفاقه انتهت بأن اعتلى ياسون ورفاقه السفينة ومعهم الفروة الذهبية، وبرفقتهم الشابة الكولخية الجميلة ميديا التى خانت أباها، وخانت وطنها فى سبيل حبها لياسون، ورافقته فى طريق العودة إلى وطنه فى ثيساليا ببلاد اليونان. ولم يملك لها والدها الملك من أمرها شيئاً.

سارت السفينة أرجو فى طريقها بعيداً عن كولخيس، وبعيداً عن منطقة القوقاز. وطبقاً لإحدى الروايات ، فقد انطلق الملك أييتيس على متن سفينته، وسار فى إثرهم، محاولاً مطاردة سفينة ياسون دون جدوى. وأرادت ميديا أن تمنع أباها من الاستمرار فى هذه المطاردة فلجأت إلى حيلة شريرة، وهى قتل أخيها الصبى أبسيرتوس Apsyrtus الذى كانت قد اصطحبته معها على ظهر السفينة أرجو. وقيل إنها مزقت جسده إلى قطع، ألقت بها من السفينة، الواحدة تلو الأخرى، لينشغل أبوها بجمع أشلاء ابنه عن مطاردتهم. وحدث ذلك بالفعل، وتوقف الملك فى الطريق لدفن هذه الأشلاء، وأداء الطقوس الجنائزية. وواصلت السفينة اليونانية أرجو رحلتها، وفى أثناء طريق العودة تزوج ياسون من ميديا.

وبعد رحلة شاقة وصل ياسون وميديا ومعهما الفروة الذهبية إلى وطنه، مدينة يولكوس بإقليم ثيساليا. ورغبة من ميديا الساحرة فى أن تُساعد زوجها ياسون، أرادت أن تخلصه من عمه بلياس، الذى كان لايزال يعتلى عرش يولكوس، بعد أن أرغم أخاه أيسون، والد ياسون، وكذلك زوجته والدة ياسون، على الانتحار. نجحت ميديا فى إقناع بلياس أنها ستُعيد إليه الشباب، وكانت وسيلتها لإقناعه أن ذبحت أمامه كبشاً عجوز، وقطعته إرباً، ووضعته فى قدر به ماء يغلى وأطلقت الصرخات الهستيرية وأشعلت البخور، وبعد أن تركته يغلى لفترة من الوقت، أتت له بحمل صغير السن، وبذا أقنعت الملك، واثنين من بناته بقدراتها السحرية على بعث الشباب من بعد شيخوخة. وطلبت منهن تقطيع والدهن بلياس ووضعه فى القدر ليغلى فى الماء، مثلما فعلت هى بالكبش. وكان لها ما أرادت، ومات الملك على أيدى بناته. عندئذ صار الطريق مفتوحاً أمام ياسون ليعتلى عرش يولكوس، غير أنه عزف عن ذلك خشية انتقام أكاستوس Acastus بن بلياس منه ومن زوجته ميديا. ورحل الزوجان إلى كورنثة. بعد ذلك بدأ ياسون يُراجع تصرفات زوجته الساحرة ميديا وبدأت الشكوك تنتابه تجاهها، فقد تخونه يوماً وتفعل به ما فعلته بالآخرين: فقد خانت أباها ووطنها وهربت معه، وقتلت أخاها، وقتلت بلياس، وخدعت بناته. وهنا قرر ياسون طلاق ميديا، والزواج من ابنة كريون Creon ملك طيبة. وما أن علمت ميديا بالخبر حتى جُن جنونها، وحاولت جاهدة أن تُثنيه عن عزمه بأن تُذكره بالعهد الذى أخذه على نفسه أمام الآلهة، فى مدينة أيا بإقليم كولخيس، وبما فعلته من أجله. ولكن عبثاً، فقد اتهمها بأنها ساحرة شريرة، ارتكبت العديد من الجرائم التى تستحق أن تُعاقب عليها. ومضى ياسون فى عزمه، وتظاهرت ميديا بالخضوع لقراره، ولكن هيهات أن تقبل الهزيمة.

عقدت ميديا العزم على الانتقام من ياسون الخائن الذى تنكر لكل أفضالها عليه، ولكل ما فعلته من أجله. فقد استغلها وقت أن كان فى حاجة إليها فى أزمته، وهجرها حين لم يعد

بحاجة إليها. فلابد لها إذن من أن تقضى على سعادته بأن تتخلص من غريمتها. جمعت ميديا أطفالها من ياسون، وأعطتهم تاجاً مرصعاً بالأحجار الكريمة، وثوباً فاخراً، وطلبت منهم أن يذهبوا لمكان العرس، ويقدموا هدية أمهم للعروس، تعبيراً عن تسليمها بالأمر الواقع، وإعلاناً عن تمنياتها الطيبة للعروسين. وانخدع الجميع بهذه الحيلة، وشكروا لميديا نواياها الطيبة. وانصرف الأطفال. وما أن ارتدت العروس الثوب ووضعت التاج على رأسها حتى اشتعلت النيران فى جسدها وفى كل من حولها، وماتت العروس ومات أبوها. وفر ياسون من النيران التى اشتعلت فى أرجاء القصر، وهو عازم على الانتقام من ميديا الساحرة الشريرة. وبعد ذلك ذبحت ميديا أبناءها من ياسون، وقدمتهم أضحية فى معبد الربة هيرا، زوجة كبير الآلهة زيوس.

ثم طلبت ميديا من جدها، إله الشمس Helios المساعدة، فأرسل لها عربة الشمس الطائرة، التى تجرها حيات مجنحة. استقلت ميديا العربة التى طارت بها فى السماء، وغابت ميديا عن الأنظار. وظلت ميديا فى منفاها، تتنقل من بلد إلى آخر، وهناك روايات بأنها عادت إلى وطنها الأصلى كولخيس، وصارت من الخالدين.

أما ياسون فقد ظل طريداً، يتنقل من بلد إلى آخر، تُعاقبه الآلهة لأنه خان العهد الذى قطعه على نفسه يوماً لميديا فى كولخيس، بأن يظل وفياً لها وألا يتخلى عنها مهما كانت الظروف.

تعددت الروايات لهذه الأسطورة وجاءت متباينة فى جميع التفاصيل، صغيرها وكبيرها. واختلف تناول أحداث هذه القصة لدى كُتاب اليونان والرومان، وطوّعها كل كاتب وكيفها وفقا لأهدافه من روايتها. وأخضعها الشعراء لرؤى درامية متباينة. وصارت ميديا الكولخية من أشهر بطلات الأساطير اليونانية والرومانية، بل ومن أشهر شخصيات الأعمال الأدبية عند اليونان والرومان.

ومن أبرز الشعراء الذين كيفوا هذه القصة، على سبيل المثال لا الحصر، الشاعر التراچيدى اليونانى الشهير يوريبيديس Euripides من حوالى ٤٨٠ ـ ٤٠٥ ق.م ، فى مسرحيته 'ميديا'، والشاعر السكندرى أبولونيوس الرودى Apollonius Rhodius ولد عام ٢٩٥ ق.م ، فى ملحمته Argonautica والشاعر الرومانى أوفيديوس Ovidius ٤٣ ـ ١٧ ق.م فى قصيدته 'رسائل البطلات' Heroides وكذلك فى قصيدته الملحمية 'التحولات' Metamorphoses بالإضافة إلى مسرحيته التراچيدية التى تحمل اسم 'ميديا'، غير أنها فُقدت ولم يبق لنا منها سوى بيتين ورد ذكرهما فى المصادر القديمة، وغير هؤلاء من الشعراء وكتاب النثر.

ولعل قصة حب ميديا وياسون هى الأولى من نوعها فى الأدب اليونانى القديم، ولها أثرها العميق على الأدب الرومانى، بل والآداب الأوروبية فيما بعد.

مهرجانـــــات

اشتركت السفارة الأرمنية بالقاهرة يوم ٤ مايو الماضى فى المهرجان الدولى لمأكولات الشعوب والذى بادرت بإقامته السيدة ليلى أبو الغيط عقيلة وزير الخارجية المصرية السيد أحمد أبو الغيط . وجدير بالذكر أن سفارات أكثر من ٣٥ دولة قد اشتركت فى هذا المهرجان الذى أثار اهتماماً واسعاً لدى أوساط الجمهور القاهرى . هذا ، وقد اشتركت أرمينية بمأكولاتها وحلوياتها ونبيذها التقليدى حيث حازت كلها تقديراً عالياً من قبل الزائرين . وبهذه المناسبة ، وجهت السفارة شكرها العميق إلى لجنة سيدات السفارة اللاتى أسهمن فى المشاركة المتميزة لأرمينية عبر هذه الاحتفالية الدولية .



المئـــــــزر ٥٧٠

تأليف : سيما كشيشيان

قراءة : نرمين خليل محمد

خلال العام المنصرم ، صدرت فى بيروت رواية «المئزر ٥٧٠» للكاتبة الأرمنية اللبنانية سيما كشيشيان ، وهى من مواليد دمشق ١٩٤٥ ، ومارست التعليم لأكثر من ثلاثة عقود ، وصدر لها كتاب بعنوان «ذاكرة من المجازر الأرمنية» فى عام ٢٠٠٥ . وتُصوِّر الرواية بعضاً من تداعيات الإبادة التى تعرض لها الشعب الأرمنى على أيدى حكومة الاتحاد والترقى فى عام ١٩١٥ . وقد نقلت الكاتبة هذه الرواية عن بطلتها بكل «أمانة» حتى تبقى من جيل إلى جيل سرمدية فى ذاكرة البشرية جمعاء ، ولا تبقى طى النسيان . ويُسعد مجلة «أريك» أن تلقى بظلالها على هذه الرواية من المنظور الأدبى النقدى وفى إطار أبعادها ومراميها الإنسانية .

المئزر ٥٧٠ اسم الراوية التى حالفنى الحظ أن تكون أول هدية ثمينة منحتها لى الأقدار الإلهية ،ولأنه أمر يهمنى ؛ أردتُ أن يُشاركنى القراء وجدانياً بشكل معرفى الأمر ، وما يهم القارئ هنا أن يشبع رغبته الملحة ـ إن صدق ظنى ـ فى معرفة ما وراء اسم الرواية الغامض «المئزر٥٧٠» . وتجدر الإشارة إلى أن القرارات السياسية والقوى الخفية التى لا يعرفها إلا الصفوة تجعل من الإرادة الخاصة إرادة عاجزة . ويتورط الفرد فى أشكال غريبة من السلوك فى مجاله الخاص وحالة من القهر الإنسانى ليس له يداً فيها ، ولكنه يمشى فى طريق رسمته له أيدى قذرة منمقة فى الحديث والمبررات الكاذبة . وتتجسد لنا كل هذه المعانى فى رواية حقيقية تنبض سطورها بقلوب معذبة وبشخوص حقيقية تفوح منها رائحة القهر والحنين والأمل المسلوب ، وتحمل لمحات رائعة من الكشف والبوح الرمزى .

بدأت الرواية بشكل وضعنا فى داخل كادر يُشبه الكادر السينمائى بمشهد بطلة القصة الحقيقية «فركين» وهى تجلس وتخرج كنزها الثمين فى حالة من الخصوصية الشديدة لهذا الشئ الذى رافقها بقية مشوار حياتها بعد عذابات ، ومن ثم أشرقت شمس حياتها بأن اهتدت إلى رفيق عمرها ، وكونت أسرة بفرحة حزينة ؛ وطالما أحست بأن جزءاً من جسدها بُتر يوم الشتات الأسود وتمنت أن يشهد أهلها ميلاد زهور جديدة فى شجرة عائلتها ، وكلما نظرت إلى أطفالها تذكرت الأيام الخوالى بوطنها العزيز المغتصب «أرمينية» وقريتها البائسة . وحملت كنزها كما يحمل الإنسان شيئاً ثمين المعنى والقيمة المادية أيضاً . ولكن المدهش أن هذا الشئ عبارة عن قطعة من قماش مكتوب عليها رقماً بشكل بدائى بخيوط بسيطة . هل هذا الشئ هو «كنز» السيدة العجوز؟ وهنا تكمن المفارقة . بطلة روايتنا هى سيدة أرمنية تُمثل الألوف من الأرمن الذين أُجبروا على الهجرة والتشرد فى مختلف بقاع الأرض ولم يسلموا من العذاب المتنوع من الذبح والاغتصاب والجوع والموت . ولذا أرادت هذه الشخصية بشكل خفى أو ربما صريح ألا يضيع هذا التراث لكى يذكرها بالثأر من المغتصبين المجرمين ؛ إذ كررت كلمة «المجرمين» والدعاء عليهم فى أكثر من موضع بالرواية فى عملية تأكيد على أخذ الثأر . وهنا ،

باحثة ماجستير
آداب القاهرة

كـان المئزر ٥٧٠ هـو الـرمز الـذى أرادت من خلاله ألا تـنسى الأجيال ثأرها لكى يرتاح الأجداد فى مرقدهم !!

تناولت الكاتبة القصة الحقيقية بشكل سردى على لسان من نقلت إليها بطلة القصة روايتها ، وتنوع السرد ما بين الراوية وصاحبة القصة عند الحديث الذى جاء بشكل متناسق رشيق ولم يحدث أى تعارض أو فصل أو قطع فى حالة المتلقى تُحير الدمع فى عينيها وزانت على وجهها مسحة من أسى وبدأت قصتها «قصة حياتها» . ونُرى هنا أن هناك لغة شعرية بسيطة ولكنها بالغة التأثير والرقة ، وهذا له تأثير لطيف . وبالرغم من قسوة الأحداث وآلامها فقد اتسمت الكاتبة دائماً بهذا المعنى ، أى الرقة فى التعبير مع قسوة الأحداث كأنها أشفقت على القارئ من هذه الوحشية «المجازر الأرمنية على أيدى الأتراك» فى نقلها لوجدان القارئ مع عدم الإخلال فى توصيل معنى ومضمون الرواية .

تداخلت شخوص الرواية من حيث الحكى على لسان بطلة الرواية تداخلاً متناغماً بأصواتهم مع حالة السرد . تقول الرواية : يا فركين أحضرى القهوة . أوامر والدى . نعم يا والدى ، بكل سرور» . كأنها كانت تحن لصوت أبيها وهو يُناديها ، فإن القارئ يستشعر الشجن فى هذه الكلمات ، وهناك موضع آخر يُؤكد هذا المعنى . تقول الرواية : «مازال صوت والدى الحنون يرن فى أذنى وهو يُملى أوامره على والدته : يا أماه ، لا تتخلى عن أولادى مهما حصل . اهتمى بهم . أعدكِ بأننى سأعود فى القريب العاجل وأُريحك من حملك الثقيل». وانتقلت الكاتبة فى هذا المشهد شديد الأسى والإنسانَية المهدرة لكى يلبوا نداء أحكام لا يعرفون لها مبرراً سوى أن يرضخوا وينهوا حياتهم كأن ليس من حقهم هذه الحياة . وجاءت بمشهد للمجازر الأرمنية وأسبقته برأيها فيما يحدث وأسبابه بشكل مختزل ولكنه يحمل كل المعانى . تقول الرواية : «وانصب الحقد التركى على الشعب الأرمنى الطيب المسالم والمجتهد والمنتج والذى لا ينسى المعروف ويحب العدل والخير والحرية له ولكل الناس والشعوب والأمم عبر التهجير والتشريد والاغتصاب والتجويع والذبح . وكأن تركيا الطورانية كانت تنتقم لشرفها وهزائمها من الشعب الأرمنى الأعزل . ولذا قبل تهجير من ظل حياً كان الأتراك قد أتلفوا الأرمن رمياً بالرصاص ، ورموهم فى الآبار وخنقوهم وأتلفوهم جوعاً واختناقاً . لم يسلم من ذلك حتى الأجنة فى بطون الحوامل . وكان مبدأهم الغاشم : كل من يقتل كافراً أرمنياً يدخل الجنة» .

ثمة مقولة وردت فى كتاب عن النقد الأدبى تقول : «عندما يكون السرد الروائى أقل واقعية وأكثر فنية يكون محركاً للعواطف وأكثر اهتماماً بالأفكار والمثاليات» . بيد أننا نرى هنا أن القصة بالفعل حقيقية الأحداث ، والأشخاص من الحياة ولهم وجود أكدته لنا مقدمة الرواية ، وأيضاً طُعمت الرواية بصور للأبطال الحقيقيين . ونرى أن رؤية الكاتبة الشخصية كأنها معايشة للأحداث لتنقلها بشكل رشيق ، لذا تميل إلى الواقعية مع عدم الإحساس بجمال النص وتحريك عواطفنا كيفما تُريد الأحداث .

خلقت الروائية تتابعاً زمنياً ثابتاً بشكل لا يقطع الأحداث بداخل القارئ . كما يتوالى الزمن بشكل سريع ، ولكنه غير مجهد للقارئ أو وقوعه فى فخ المفاجأة . فبدأت الرواية ، عندما كانت بطلة القصة عندها ١٢عاماً ومروراً بمراحل الصبا والشباب والنضج وإنجاب أطفالها الخمسة وانتقالها مرة أخرى إلى وطنها الأصلى أرمينية ورجوعها مرة أخرى لموطنها الثانى لبنان ورحلة البحث عن الأسرة ، فكان الربط ما بين محاولات البطلة البحث عن الأهل والمعايشة فى أكثر من بلد «سورية ، مصر ، لبنان ، أرمينية» . وبهذا الشعور النبيل بعدم الاغتراب فى تلك البلدان كأنها تقر بأن المحبة لابد أن تكون كامنة فى القلوب رغم مرارة الأيام ، وأن الإنسان لا يفقد إنسانيته ومحبته حتى لا ينال العدو منه ويقضى عليه للأبد ، فليس بالموت وحده والتنكيل يفنى الإنسان .

وبهذه المعانى الجميلة استطاعت الكاتبة أن تُسطِّر روايتها . وأخيراً ، يحتار القارئ فى توصيف هذا العمل الإبداعى : هل هو قصة مأساوية إنسانية؟ أم هو رواية تحمل سمات سياسية وواقع تاريخى مرير لأمة ذاقت ويلات الحروب؟ أم أنه رواية تحمل معانى صوفية تسودها مشاعر حب وحنين وولاء وعرفان بالجميل وصفاء نفس تعلو بها على ضغائن القلوب المريضة وخبث الحكام وشرور السياسة؟

دراســـات



دور أرمينيـة فى صراع القـوى بـين الرومـان والبـارثيين

عرض : مشيرة اليوسفى

الباحثة : إنچى حسن حسين

بتقدير ممتاز ، حصلت الباحثة إنچى حسن حسين إبراهيم على درجة الماچستير فى الآداب ـ قسم الآثار والدراسات اليونانية والرومانية ـ كلية الآداب جامعة الإسكندرية عن أطروحة «دور أرمينية فى صراع القوى بين الرومان والبارثيين» . وقد أشرف على الرسالة أ . د . محمد السيد عبد الغنى أستاذ التاريخ اليونانى والرومانى و أ . د . حسين أحمد الشيخ أستاذ التاريخ اليونانى والرومانى بكلية الآداب جامعة الإسكندرية . وناقش الأطروحة أ . د . محمود إبراهيم السعدنى أستاذ التاريخ اليونانى والرومانى بآداب حلوان و أ . د . سلوى محمود نصر أستاذ التاريخ اليونانى والرومانى بآداب الإسكندرية .

وتنقسم الرسالة إلى خمسة فصول تسبقها مقدمة وتُنهيها خاتمة . يتناول الفصل الأول «جغرافية أرمينية وبداياتها المبكرة» . ويستعرض الفصل الثانى «أرمينية وصراعات القوى منذ ما قبل الدولة الفارسية الأخمينية حتى قبيل الغزو الرومانى» . ويتطرق الفصل الثالث إلى موضوع «أرمينية والغزو الرومانى فى أواخر العصر الجمهورى» . ويُركز الفصل الرابع على «أرمينية فى القرن الأول الميلادى» . ويُواصل الفصل الخامس والأخير الحديث عن «أرمينية خلال القرن الثانى الميلادى حتى سقوط الدولة البارثية» . واحتوت الرسالة على ثلاثة ملاحق ؛ تناول أولها «ملوك وأمراء أرمينية حتى نهاية المملكة الأرمنية القديمة الرابعة» ، ورصد ثانيها «ملوك الدولتين الفارسيتين القديمتين الأولى والثانية» ، واختص ثالثهما بالخرائط . وتجدر الإشارة إلى أن مكتبة البحث ضمت طائفة متميزة من المصادر اليونانية والرومانية والأرمنية علاوة على مجموعة أخرى من المصادر الأجنبية والعربية والمصرية .

ورغم صعوبة الموضوع وتشابك خيوطه وتعدد مصادره وتضاربها أحياناً ، فإن الباحثة نجحت في التعامل مع الموضوع بحيدة وموضوعية وفكت طلاسم الكثير من معضلاته الشائكة. وفيما يلى نرصد أبرز النتائج التى توصلت إليها الباحثة .

يتضح من دراسة «دور أرمينية فى صراع القوى بين الرومان والبارثيين» أن أرمينية قامت بدور لا يُستهان به فى الصراعات التى جرت بين الغرب والشرق ، وكانت مسار حديث حوليات الماضى ؛ فعلى أراضيها اصطدمت كثيراً جيوش القوى المجاورة عبر العصور المختلفة مما جعل تاريخها مرتبطاً ارتباطاً وثيقاً ـ أو حتى يمكن القول أحياناً ـ إنه متشابك بتاريخ الإمبراطوريات الكبرى التى تلاحقت أو تطلعت إلى حكم الشرق ، ونخص بالذكر الإمبراطورية الميدية والإمبراطورية الأخمينية الفارسية وإمبراطورية الإسكندر الأكبر المقدونى وخلفائه السليوقيين والإمبراطورية البارثية

دار الكتب والوثائق القومية
بالقاهرة

الأرساكية والإمبراطورية الرومانية . ويرجع ذلك إلى موقع أرمينية شديد الخطورة ، فكثيراً ما كانت بالقرب من ـ أو على احتكاك مباشر مع ـ أكبر حضارات الماضى ؛ حيث رأت ثقافة ميديا وعظمة الفرس ، وتوسعت تحت تأثير الفكر اليونانى ، وأحست بعظمة القانون الرومانى . باختصار ، وقعت أرمينية قديماً تحت نفوذ ثلاث حضارات عظيمة (الحضارة الفارسية ، والحضارة الهللينيستية ، والحضارة الرومانية) .

وقد لاحظت الباحثة أن الحدود السياسية لأرمينية قد تغيرت من وقت لآخر ، وكانت تتبع فى نظام حكمها التقاليد الفارسية القديمة ؛ إذ تم تقسيمها إلى عدد من الساترابيات يحكمها ساترابيون كانوا فى الواقع تابعين للملك ويتولون منصبهم بالوراثة ويقودون جيوشهم الخاصة بهم . وعلى مر التاريخ نجد أن أرمينية إلى جانب وقوعها من وقت لآخر تحت السيادة السياسية للقوى المجاورة كانت لها أسر حاكمة منها : الأسرة الأورونتية (٤٠١ ـ ٢٠٠ ق . م) والأسرة الأرتاكسية (١٩٠ ق . م ـ ١٠ م تقريباً) التى تُعد أعظم الأسر الأرمنية الحاكمة ، والأسرة الأرساكية (٥٣ ـ ٤٢٨ م) التى تُعد فرعاً من الأسرة الأرساكية الحاكمة فى بارثيا .

وقد أثبتت الدراسة أن أفراد الأسرة الأورونتية حكموا أرمينية بصفتهم ساترابيين من عام ٤٠١ حتى عام ٣٣١ ق . م، ثم بصفتهم ملوكاً من عام ٣٣١ حتى عام ٢٠٠ ق . م ؛ حيث عقب هزيمة الفرس على يدىّ الإسكندر الأكبر المقدونى عام ٣٣١ ق . م تخلى حاكمها الذى يُدعى أورونتيس الثانى عن لقبه «الساتراب» وختم حكمه بإعلان نفسه «ملكاً مستقلاً» على كل أرمينية مظهراً فى الواقع الوضع الحقيقى للأسرة الأورونتية الحاكمة واستمر خلفاؤه ملوكاً مستقلين ومعترفاً بهم دولياً بهذه الصفة ـ باستثناء فترات قصيرة جداً ـ حتى نهاية الأسرة الأورونتية الحاكمة ، وإن كانوا قد ظلوا يدورون فى فلك أية قوة عظمى صاعدة ؛ أى فى فلك الإسكندر الأكبر وخلفائه السليوقيين .

أما الأسرة الأرتاكسية فقد تأسست فى عام ١٩٠ ق . م عقب التخلص من السيطرة السليوقية إثر هزيمة الملك السليوقى أنطيوخوس الثالث الأكبر على أيدى الرومان فى معركة ماجنيستيا بغرب آسيا الصغرى ، وكان فى الواقع لهذا الحدث أهمية تاريخية كبرى بالنسبة لتاريخ أرمينية ، فقد كانت هذه هى المرة الأولى التى شهد أو أكد فيها الشعب الأرمنى على استقلاله التام بعد أن كان خاضعاً للسيادة الميدية ـ الفارسية ، ثم على الأقل نظرياً ـ للسيادة المقدونية ـ السليوقية . واستطاع أحد ملوك تلك الأسرة الأرتاكسية ويُدعى تيجرانيس الثانى الأكبر (٩٥ ـ ٥٥ ق . م) تكوين إمبراطورية ضخمة جعلت من أرمينية القوة المسيطرة على ما يُسمى الآن الشرق الأوسط أثناء فترة كبيرة من حكمه ، مستغلاً الضعف المؤقت الذى حلّ بالبارثيين والاضطرابات التى أصابت روما بسبب عدم الاستقرار الداخلى والسياسة الخارجية المتذبذبة . ولكن هذه الإمبراطورية التيجرانية تفككت على أيدى حملات القائدين الرومانيين لوكوللوس وبومبيوس ، وأن بومبيوس جعل تيجرانيس الثانى الأكبر تابعاً لروما ، ومنذ ذلك الحين أكد الرومان سيادة واضحة أو غير واضحة على مملكة أرمينية كانت مصدراً دائماً للصراع مع البارثيين . وتُعد محاولة تيجرانيس الثانى الأكبر لتكوين إمبراطورية أرمينية محاولة فريدة فى تاريخ البلاد ، وكان يُمثل رغم أخطائه وهزائمه صفحة مشرقة فى تاريخ أرمينية .

وأثبتت الدراسة أن الحقبة الزمنية الممتدة من عام ٢٠ ق . م حتى عام ٥٣ م من التاريخ الأرمنى كانت شديدة الظلام تسودها الانقسامات والصراعات الداخلية والتدخلات الخارجية التى أضعفت أرمينية وجعلتها فى حالة من الفوضى. ففى أثناء السنوات الأخيرة من حكم ملوك الأسرة الأرتاكسية، نجد أن الحزب الوطنى المدعم من قبل البارثيين الذين كانت مصلحتهم تقتضى أن تصبح أرمينية مستقلة تماماً قد قام ضد النفوذ الرومانى فى البلاد المتمثل فى أقلية من طبقة النبلاء

الأرمنية التى كانت تأخذ إعانات مالية من روما وفى بعض أبناء الأسر الكبيرة الذين تلقوا تعليمهم فى روما وكانوا يتجهون تلقائياً نحو الغرب . ونتج عن ذلك سلسلة من الصراعات الداخلية والانقلابات الموجهة ضد الملوك العملاء لروما الذين تقلدوا العرش لفترات قصيرة وبمرور الوقت بدأت طبقة النبلاء الأرمنية الطموحة تفقد صوابها وإحساسها الوطنى ، وهنا بدأ عهد السادة الإقطاعيين قاتلى ملوكهم وخائنى وطنهم ؛ إذ تطلع هؤلاء إلى التخلص من ملوكهم الشرعيين ليتمتعوا بحرية بدت لهم أكبر ، إلا أنه فى حقيقة الأمر تسبب ذلك فى خضوع مهين للأجنبى ودخول أرمينية فى مرحلة جديدة يُطلق عليها فترة الانتقال بين أسرة الأرتاكسيين وأسرة الأرساكيين . وقد تولى حكم أرمينية خلال هذه الفترة ، والتى كان يتصارع فيها كل من الرومان والبارثيين على من يكون له النفوذ فى البلاد ، ملوك أجانب عملاء تم تعيين بعضهم من قبل الرومان والبعض الآخر من قبل البارثيين ، رغم كون البلاد رسمياً مستقلة ، فكان خلو العرش سبباً للنزاع الدائم بين القوتين المتنافستين ، وللتدخلات المتواصلة ، وأيضاً للاضطرابات والخلافات الداخلية .

وقد بدأت صفحة جديدة فى تاريخ أرمينية عندما تُوِّج الأرساكى تيريداتيس الأول (٥٣ - ١٠٠م) - شقيق الملك البارثى ڤولوجيسيس الأول - ملكاً على أرمينية على يدىّ الإمبراطور الرومانى نيرون فى روما عام ٦٦ م بموجب معاهدة صلح رهانديا ، تلك التسوية التاريخية التى جرت بين الرومان والبارثيين عام ٦٣ م وحفظت التوازن والسلام النسبيين لفترة طويلة وصلت إلى أكثر من نصف قرن تقريباً . لكن الضعف المستفحل والمتفاقم فى الدولة البارثية وتدخلها باستمرار فى أرمينية جعل فتح أرمينية من جانب الرومان مغرياً : فترايانوس كان أول إمبراطور رومانى يفتح ما وراء نهر الفرات ويجعل كلاً من أرمينية وبلاد ما بين النهرين وأشور (أديابينى) ولايات رومانية ، لكن فتوحاته سرعان ما تخلى عنها خليفته هادريانوس وعاد إلى العمل بتسوية رهانديا التى ضمنت فترة أخرى من السلام النسبى فى الشرق وصلت إلى أربعة وأربعين عاماً ، بعدها قام لوكيوس ڤيروس بإعادة وضع أرمينية كمملكة عميلة لروما وبضم بلاد ما بين النهرين وجعلها ولاية رومانية مرة أخرى . بيد أن البارثيين لم يقبلوا هذه الخسائر خاصة خسارة بلاد ما بين النهرين ، فاضطر الأباطرة الرومان سبتيميوس سيڤيروس وكاراكالا ومارينوس إلى شن حملات أخرى للحفاظ على فتوحات لوكيوس ڤيروس . وهنا تقلص إلى حد ما دور أرمينية وأهميتها فى الصراع الدائر بين الرومان والبارثيين لتحل محلها بلاد ما بين النهرين .

وقد أثبتت الحروب أن البارثيين إذا كانوا قادرين - فى بعض المناسبات - على مباغتة الرومان والانتصار عليهم ، فإن هذا الانتصار لم يضعهم فى موقع الند للرومان على المدى الطويل . فنجد أن القوات الرومانية تدخل مرتين العاصمة الأرمنية أرتاكساتا وتُدمرها تدميراً تاماً : المرة الأولى بقيادة كوربولو - أحد قادة نيرون - فى عام ٥٨ / ٥٩ م ، والمرة الثانية بقيادة ستاتيوس بريسكوس - أحد قادة لوكيوس ڤيروس - فى عام ١٦٣م . ولم يتوقف الأمر عند هذا الحد ، بل نجد العاصمة البارثية طيسفون تتعرض للتخريب والنهب من قبل القوات الرومانية ثلاث مرات على مدى قرن واحد وهو القرن الثانى الميلادى : المرة الأولى بقيادة ترايانوس فى عام ١١٦ م ، والمرة الثانية بقيادة أڤيديوس كاسيوس - أحد قادة لوكيوس ڤيروس - فى عام ١٦٥ م ، والمرة الثالثة بقيادة سبتيميوس سيڤيروس فى عام ١٩٨ م . أما بالنسبة لألقاب "Armeniacvs" و "Parthicvs" "Maximvs" و "Medicvs" الموجودة فى النقوش الخاصة بالعملة الرومانية . فقد حمل اللقب الأول والثالث كل من ماركوس أوريليوس ولوكيوس ڤيروس ، فى حين حمل اللقب الثانى ترايانوس وهادريانوس وماركوس أوريليوس ولوكيوس ڤيروس وسبتيميوس سيڤيروس وأخيراً كاراكالا .

القضيـــة الأرمنيـــة
فى الجمعية المصرية للدراسات التاريخية

إعــداد: سحـــر حســـن

استعرضنا فى العدد الماضى الجزء الأول من السيمنار الذى عقدته الجمعية المصرية للدراسات التاريخية عن القضية الأرمنية . وفى هذا العدد ، نستعرض الجزء الثانى ، وهو المحاضرة التى ألقاها أ . على ثابت صبرى ـ باحث ماجستير بآداب الإسكندرية عن «بريطانيا والقضية الأرمنية فى الدولة العثمانية ـ قراءة فى عام ١٨٧٨» . وتجدر الإشارة إلى أن القضية الأرمنية قد قامت بدور محورى فى حقل السياسة الدولية خلال النصف الثانى من القرن التاسع عشر ، وكذا فى علاقة الدولة العثمانية بأوربا ، حتى أصبحت إحدى المحاور الرئيسية للمسألة الشرقية . ومن هنا تكمن أهمية تلك القضية ، حيث استخدمتها أوربا وخصوصاً بريطانيا أداةً للتدخل فى شئون الدولة العثمانية .

ومنذ أن بدت علامات الضعف والوهن على الدولة العثمانية بشكل واضح فى أواخر القرن الثامن عشر ، شغل أذهان الساسة فى أوربا التفكير فى مصير هذه الدولة ووراثة أملاكها . وعند النظر للمسألة بشكل بؤرى يتضح أن بريطانيا كانت على رأس الدول التى اهتمت كثيراً بمصير تلك الدولة ، حيث أنها أرادت تأمين طرق مواصلاتها إلى الشرق الأقصى والهند خصوصاً سواء عن طريق السويس والبحر الأحمر أو عن طريق الخليج العربى ونهرىّ دجلة والفرات .

ومن هنا رأت بريطانيا فى القضية الأرمنية أهمية ومكسباً لها ، ألا وهو الضغط على الدولة العثمانية من أجل تحقيق الإصلاحات التى ينشدها الأرمن داخل الدولة . إن هذه الرؤية تُمثل الأسباب الظاهرية التى ادعتها بريطانيا ، إذ تاجرت بالقضية الأرمنية من أجل الوصول لتأمين طريق السويس كى يبقى بعيداً عن الأخطار ، ومن ناحية أخرى إبعاد الروس وتحجيم نشاطهم شرقى الدولة العثمانية ، ووقف أى زحف روسى مستقبلى خصوصاً بعد الحرب العثمانية الروسية ونتائجها خلال عامىّ ١٨٧٧ ـ ١٨٧٨ .

وعلى خط متواز بعدما لاح فى الأجواء فشل معاهدة سان ستيفانو (مارس ١٨٧٨) وتزعم بريطانيا معارضة أوربية من أجل الوقوف على نتائج الحرب المتمثلة فى سان ستيفانو ، علّق الأرمن آمالاً عريضة على بريطانيا ، ويُبرهن على ذلك قول ڤارچابيديان : «إذا أرادت بريطانيا فإن أرمينية ستنجو ، إن سياستنا تتلخص فى أنه مع الامتنان لروسيا ، فإننا نعقد آمالنا على بريطانيا وبفضلها نوفر سلامتنا المادية والمعنوية» . وجاءت معاهدة برلين (يولية ١٨٧٨) وحصل الأرمن على المادة ٦١ التى تضمن لهم تنفيذ الإصلاحات تحت المراقبة الأوربية .

وبذا يُعد عام ١٨٧٨ علامة فارقة فى تاريخ القضية الأرمنية والدولة العثمانية وبريطانيا . ففى هذا العام ، تم تدويل القضية الأرمنية ، وتحولت من كونها مشكلة عثمانية محلية إلى مشكلة دولية . ولأول مرة يتم ذكر الأرمن صراحة فى اتفاقية دولية خلال التاريخ الحديث . واستطاعت بريطانيا أن تأخذ نصيب الأسد حيث سيطرت على جزيرة قبرص التى من خلالها وفرت لنفسها الاطمئنان النسبى لمراقبة الأوضاع داخل الدولة العثمانية ، وأن تمثل حجرة عثرة أمام التطلعات الروسية، وكانت البوابة لاحتلال مصر . وقد فشلت الدولة العثمانية فى احتواء القضايا الدينية داخل الأناضول ، مما ترتب عليه تصعيدها دولياً وجعلها سلاحاً قوياً فى أيدى أوربا لاسيما بريطانيا للتدخل وقتما تشاء فى شئون الدولة العثمانية .

باحثه دكتوراة
جامعـة عـين شمـس





السد العالى
شهادات واقعية

بمناسبة خمسين عاماً على وضع حجر الأساس

إعداد : سحر حسن

بمناسبة مرور خمسين عاماً على وضع حجر الأساس لبناء السد العالى ، أقام مركز تاريخ مصر المعاصر بدار الكتب والوثائق القومية تحت رعاية الأستاذ الدكتور محمد صابر عرب رئيس مجلس الإدارة والأستاذ الدكتور فاروق جاويش رئيس الإدارة المركزية للمراكز العلمية ، احتفالية فى يوم الإثنين ١٧ مايو ٢٠١٠ .

وقد شارك فى هذه الاحتفالية الأستاذ الكسندر بالينكو مستشار سفارة روسيا الاتحادية ومدير المراكز الثقافية الروسية فى مصر الذى تحدث عن الدور الروسى فى بناء السد .

وحسب كلمة المستشار الروسى ، جاء قرار بناء السد من قبل الرئاسة المصرية «جمال عبد الناصر» فى وقت كانت مصر تمر فيه بظروف سياسية معقدة : العدوان الثلاثى ، رفض البلاد الغربية تقديم الدعمين الفنى والمالى للحكومة المصرية . ولهذا طلب ناصر من روسيا أن تدعمه فنياً ومالياً . وفى هذا الصدد ، قدم الجانب الروسى بالفعل الدعمين الفنى والمالى بدون أية شروط لإنشاء السد العالى عام ١٩٦٠ . وأسهم فى أعمال بناء السد أكثر من ٣٠ ألف عاملاً ، منهم ٢٠٠٠ خبير سوفيتى . وقد كانت عملية البناء شاقة جداً . وبلغ طول السد ٣٦٠٠ م ، وعرضه ٩٨٠ م ، وارتفاعه ١١١ م ، وحجم جسم السد بلغ ٤٣ مليون متراً مكعباً . وتم إنشاء بحيرة صناعية «بحيرة ناصر» تزيد مساحتها عن ٥٢٥٠ كم مربعاً وحجم الماء المخزون بها ١٣٢ كم مكعباً . كما أُنشئت محطة كهرومائية لتوفير الطاقة الكهربائية . واستطاعت هذه المحطة أن توفر فى عام ١٩٦٧ أكثر من ٥٠ ٪ من الطاقة اللازمة للبلاد . كما كان لإنشاء السد دور مهم فى منع حدوث الفيضانات وأيضاً الجفاف كما حدث فى عام ١٩٦٤ من منع الفيضان ، وفى عام ١٩٧٣ من حدوث الجفاف . وكان لبناء السد فوائد عدة أخرى نذكر منها: الدور الذى قام به فى تدعيم الصناعة المصرية ، وزيادة مساحة الرقعة الزراعية ، وتوفير فرص عديدة للعمل .

كما اشترك فى الندوة نخبة من بناة السد العالى . فقد تحدث المهندس سعد نصار ـ الذى أسهم فى بناء السد العالى وحصل على ميدالية السد من الطبقة الأولى فى مناسبة تحويل مجرى نهر النيل فى مايو ١٩٦٤ م ـ عن كيفية إعداد كتيبة العمل . وحسب قوله : يرجع الفضل لوزارة الأشغال العمومية فى إرساء اللبنة الأساسية لمشروع السد فى ٣١ ديسمبر ١٩٥٢ حين شكلت «لجنة السد العالى» برئاسة الخبير الدكتور حسن زكى ، وتشكلت من أحمد عبد الخالق الزرقانى ومحمد السعيد حسونة وعزيز حنا لبيب وموظف الحسابات زكى تادروس.

وفى ٢ يناير ١٩٥٣ وُجهت إشارة إلى قومندان حدود السودان تطلب منه أن يُعطى تصريحاً لثلاثة خبراء ألمان ومعهم سبعة عمال وأيضاً للسيارة الحكومية لزيارة منطقة مناجم الحديد شرق أسوان لمدة شهرين اعتباراً من ٤ يناير لعمل أبحاث چيولوچية تحتاجها لجنة السد العالى . ثم انضم لهؤلاء المهندسين : أحمد سعيد إبراهيم ـ عين أول مهندس مقيم

باحثة دكتوراه
جامعة عين شمس

للمشروع فى ٣٠ ديسمبر ١٩٥٢ ـ ومحمد توفيق الشموتى وغالب خليل وأرميا حبيب ووليم كامل شنودة ومحمد أبو الليل وسليمان راضى أبو سمرة وإسماعيل حسنى موظف الآلة الكاتبة أول كاتب لأسرار السد . وتوالت زيادة أعداد أفراد الكتيبة تباعاً لبعض الوقت فى أسوان مع انضمام عناصر أخرى لهم بغرض أعمال البحث والدراسات اللازمة ، ثم تم تكليف دفعة كاملة من المهندسين «١٨ مهندساً» ، فى عهد وزير الأشغال المهندس موسى عرفة سنة ١٩٦٠ لتوزيعهم على قطاعات وإدارات المشروع .

بعد ذلك ، جاءت كلمة الأستاذ فاروق عبد الفتاح التى تحمل عنوان «كيف تم إسكان وإعاشة كتيبة العاملين بالسد العالى ؟» ، حيث كان من الطبيعى أن تقوم إدارة المشروع بتوفير كل سبل الراحة والاستقرار المطلوبة لكتيبة العاملين من المصريين والسوفيت على حد سواء . وكان من الطبيعى أن يتفاوت الأمر كماً وكيفاً خلال فترة العمل بالمشروع وما تلى ذلك خاصة بعد صدور القرار الجمهورى بإنشاء وزارة السد العالى فى سبتمبر ١٩٦٢ . وفى البداية تم إسكان المهندسين فى عمارة استُئجرت بقلب مدينة أسوان ، ثم أُنشئت عدة تجمعات سكنية بالبر الشرقى بمناطق الشيخ هارون والسيل وكيما ، وكذلك فى البر الغربى بمنشأة السد العالى وذلك للعائلات والعزاب ، حيث كانت إدارة الإسكان والإعاشة تتيح لكل وافد للعمل المسكن المؤقت بحسب حالته الاجتماعية ودرجته الوظيفية وبدون مقابل .

كما أن شركة عثمان أحمد عثمان التى كُلفت بالقيام بأعمال السد ، قامت بإنشاء مجموعة من العمارات السكنية لكوادرها بمدينة أسوان ، إضافة لعدد من المساكن لعمالها بالبر الشرقى ، واتبعت شركت مصر لأعمال الأسمنت نفس الأسلوب بإقامة منشأة سكنية مصغرة للعاملين التابعين لها بمنطقة مدينة نصر على الضفة الشرقية للنيل . هذا إلى جانب إقامة الاستراحات ودور السينما والملاهى للترفيه عن العاملين من المصريين والسوفيت . وأُقيم خط سكة حديد خُصص لنقل العمال إلى الموقع فى مواعيد الورديات المختلفة.

وتحدث المهندس رشدى عطية روفائيل الذى عمل بمشروع السد العالى كمهندس فى الهيئة العامة لبناء السد العالى فى إدارة البحوث الفنية وإدارة حقن جسم السد ـ عن ملحمة التعاون والعمل بين الروس والمصريين . ورغم قسوة الظروف . فكانت قدرة الإنسان على خلق العوامل التى تحفزه لإنتاج عمل ما أو الوصول إلى هدف عظيم ؛ وجدت عديداً من نقاط التماثل بين ما سمعته وما عشته فعلاً خلال هذا المشروع الكبير . وكانت عملية التحفيز النفسى تتم عن طريق:

أولاً : توجيه العواطف فى خدمة هدف ما . ولذا انشغل كل من المصريين والروس والتحموا معاً فى هدف واحد لإنجاز ذلك المشروع .

ثانياً : التحكم فى الدوافع لانتظار نتيجة إيجابية : كيف نتحكم فى كل الظروف المحيطة فى انتظار نتيجة إيجابية لما نفعله .

ثالثاً : الاستمتاع الذاتى : كيف تُراقب من بعيد ما أنجزته يداك وتستمتع به .

وكان هذا المشروع دليلاً ومثلاً حياً على كيفية التعاون المخلص بين الشعوب ، وكيف يكون الهدف الواحد هو الحافز، وتتلاشى الفروق بين الطرفين المصرى والروسى ، وتتوحد الإرادة فى ملحمة متجانسة بالرغم من الخلافات التى تبدو معاكسة لذلك الاتجاه .

أما عن الإدارة فى مشروع السد العالى ، فقد تحدث الأستاذ أحمد طلعت ، وذكر أن بناء السد كان يُمثل ملحمة إنسانية وفنية ، وتحدث عن رفض البنك الدولى بسحب عرضه لتمويل بناء السد ، وعن الاتفاقيات التى تمت مع الاتحاد السوفيتى لتقديم الدعمين الفنى والمادى . ثم عرج إلى إنشاء وزارة للسد العالى وتعيين المهندس صدقى سليمان وزيراً للسد، وعن الدور الفعال الذى قام به فى إتمام المشروع ، وما بذله من جهد مضنى لإنجاز العمل وإدارته .

وأخيراً تحدث الدكتور صلاح الدسوقى عن «السد العالى والمشروع القومى العربى» وضمنت كلمته محاور عدة أهمها:

الواقع الاقتصادى ـ الاجتماعى بمصر قبل ثورة يولية ١٩٥٢ ، تطلعات وتطبيقات النظام الثورى لبناء دولة عصرية، آفاق المشروع القومى العربى عند جمال عبد الناصر ، فكرة بناء السد العالى فى إطار المشروع الثورى ، معركة بناء السد العالى فى مواجهة التحديات الاستعمارية ، السد العالى ركيزة التصنيع والتنمية .

رمـــــــوز



ألبـــرت أينشتايـــن
العالـــم ـ المفكـــر ـ المبــدع

إعداد : منى ضيف الله

ولد أينشتاين فى ١٤ مارس ١٨٧٩ م بأولم فى فترتمبرج بألمانيا ، وتوفى بمدينة برنستون بولاية نيوجرسى فى ١٨ أبريل ١٩٥٥ م . إن أينشتاين كما عُرفت صورته رجل بدأ حياته يُعانى من خلل لغوى بسيط نجمت عنه صعوبة فى القراءة والكتابة ، ولكنه تجاوز هذه العوائق والعقبات ليغير نظرتنا لمفهوم المكان وليغير معنى كلمة الزمن . وكان شاباً عطوفاً ذا بنية قوية بارز العضلات على الرغم من تجاهله لمعظم أنواع التمارين الرياضية . وبالطبع كان عبقرياً ، وهذا أمر واضح منذ البداية .

لقد كان ولع أينشتاين بالاستقلال أمراً بادياً فى شخصه ، فلقد حدث أثناء فترة مراهقته أن أجبرت ظروف العمل الأسرة على الانتقال من ميونيخ إلى شمالى إيطاليا ، لكن أينشتاين الشاب تخلف وراء الأسرة ليكمل دراسته ، ومع ذلك فعند بلوغه سن السادسة عشر ومع عنائه فى ألمانيا والصعاب التى لاقاها فى نظام المدرسة ، اتخذ قراره فتبرأ من الجنسية الألمانية تاركاً المدرسة فى ميونيخ واستكمل دراسته فى زيوريخ ، ثم نال الجنسية السويسرية بعد خمس سنوات عام ١٩٠١م ، ورغم أنه اعتبر نفسه مواطناً سويسرياً ، فإنه اكتسب الجنسية الألمانية عندما أصبح عضواً فى الأكاديمية البروسية للعلوم عام ١٩١٣ م ، وهذه الجنسية المزدوجة ظلت على حالها حتى عام ١٩٢٣ م حين طُلب منه رسمياً القبول بالجنسية الألمانية . ولقد قال أينشتاين فى حوار معه فى إحدى صحف نيويورك قبل عودته إلى أوربا أن : «الإنسانية أهم من الجنسية القومية» ، وهو ما شكّل أحد مُثل حياته ومبادئها . ومما يُذكر أنه أخبر صديقاً له . لم أعرف يوماً وطناً لى ، فليس هناك من بلد أو مدينة أشعر تجاهها بذلك» .

ومن أهم الإنجازات البارزة لأينشتاين هى الأوراق الخمسة البحثية التى قدمها عام ١٩٠٥م ، وكانت أطروحة نيل درجة الدكتوراه حول «الأبعاد الجزيئية» ، وأشهر هذه الأوراق كانت مقدمة لقسم الفيزياء كالآتى : كمات الضوء والتأثير الكهروضوئى «وهى وجهة نظر شارحة لانبعاث الضوء وانحرافه» وهو العمل الذى نال عنه جائزة نوبل عام ١٩٢١م ، الحركة البراونية ، وثمة وورقتان بحثيتان حول النسبية الخاصة ، ومعهما معادلته الشهيرة .

ثم كرّس مجهوده فى السنوات التالية بشكل أساسى على دمج قوى الجاذبية فى نظريته النسبية ، فكان أن قدم «أسس النظرية النسبية العامة» عام ١٩١٦م .

إن أعمال أينشتاين تستحضر الوضوح والمباشرة والحكم القطعى ، ومثال ذلك أنه ما من عبارة فى ورقة ١٩٠٥ عن كمات الضوء تحتاج أن تتم مراجعتها على ضوء التطورات اللاحقة ، فإن أينشتاين يتمتع برؤية وتفكير رائعين فى الفيزياء ، وإنه لمن العسير جداً أن تثير نقاشاً حول موضوع فى الفيزياء النظرية وتجده لم يفكر فيه بعمق وإسهاب .

بكالوريـوس علوم
جامعة الأزهر

إن معظم الفيزيائيين اليوم يرون نظرية أينشتاين النسبية لا على أنها نظرية ثورية ، بل بوصفها متممة للفيزياء الكلاسيكية، ولقد أمضى أينشتاين الثلاثين عاماً الأخيرة من حياته يعمل وحيداً إلى حد كبير على نظرية موحدة تضم كافة التفاعلات . ولكن عمله أُعيق بحقيقة أنه فى الوقت الذى بدأ فيه بحثه ، لم يكن قد جرى التوصل بعد إلى اثنين من قوى الطبيعة الأربعة المعروفة .

لقد كان أينشتاين دائم الاقتناع بعدم قبول ميكانيكا الكم ، ولقد كتب عبارته الشهيرة «إن ميكانيكا الكم عميقة مؤثرة جداً لكن صوتاً داخلى يُخبرنى أنها ليست ضالتنا وإن كانت تكشف لنا عن الكثير والكثير فأنا على قناعة تحت كل الظروف أن الرب لا يلعب النرد» . فلقد كان مقتنعاً بأن القانون الطبيعى لابد أن يكون جميلاً حتمياً لا عشوائياً ، فلم يستطع أينشتاين يوماً أن يقبل بنظرية على علتها ؛ إذ لم يكن ذلك من طبيعته ، فأينشتاين مسلح بالتفكير والتجربة الذهنية ، وكانت لديه قدرة لا مثيل لها على الإطاحة بأية نظرية باستخدام قدرتها ذاتها ضدها . فلقد عبر فى عام ١٩٠٩م على عدم ارتياحه للدور التى تلعبه العشوائية أو الصدفة فى فيزياء الكم .

كان أينشتاين يتمتع بروح الفكاهة ، وهذه احدى قصصه المشهورة ، فلقد كان من تقاليده فى سنواته الأخيرة أن يُجرى عدداً من الحوارات الصحفية فى عيد ميلاده ، فسأله صحفى ذات مرة ماذا كان يتخيل نفسه إذا قدر له حياة مختلفة ؟ هل سيكون سعيداً فى حياة مختلفة ؟ فأجابه أينشتاين بعد لحظة من التفكير «أعتقد أنى كنتُ سأحيا حياة رائعه لو كنتُ سباكاً». وبعد نشر هذا الرد منح أعضاء نقابة السباكين فى واشنطن أينشتاين العضوية الفخرية ثم أهداه أعضاء نيويورك طاقم أدوات سباكة مطلى بالذهب . ويقال إن ذلك أدخل على أينشتاين عظيم السرور .

ورغم أن القنبلة الذرية وما يتعلق بها من فروع الفيزياء ذات ارتباط ضعيف جداً بأينشتاين أو مجالات بحثه ، فإنه دوماً ما ألقى عليه بملاءمتها ، فلقد اختارت جريدة التايم أينشتاين شخصية القرن العشرين فى عددها الصادر يوم ٣ يناير ٢٠٠٠ م ، وكانت قد وضعت صورته على غلاف عدد يولية ١٩٤٦م وخلفيته شكل عيش الغراب ـ لقد كان هذا الشكل المميز للقنبلة الذرية ـ ومكتوب عليه معادلته الشهيرة بينما كان التعليق بالحجم الكبير «الحزن العميق» ، وإنى لأتساءل كيف كان وقع هذا الأمر على الرجل المحب للسلام ليصير كبش فداء لجيل كامل من الفيزيائين ، فلقد أدرك أينشتاين ذلك وأنه لابد أن يقبل بصورته على غلاف التايم بكرامة وإباء ، شخص يُدرك الواجب الأخلاقى فى أن ينوء بثقل أعباء عصره ، فيقول أينشتاين فى صياغة كلمة منادياً للسلام «لستُ فقط أحد دعاة السلام الذين ينادون به بل إننى مسالم مقاتل محارب ... أليس من الأفضل للإنسان أن يموت فى سبيل قضية يؤمن بها مثل السلام من أن يعانى من قضية لا يؤمن بها مثل الحرب» .

أين أينشتاين اليوم ؟ أهو فى بحوثنا ودراستنا وتجاربنا ، إنه هو من كتب الفيزياء بالجامعات وتاريخ الثقافة ، هو فى قلوب جميع العلماء والعباقرة الذين يستيقظون فى قلب الليل على فكرة غير ممكنة لمشكلة مستحيلة الحل ، وهو بين ظهرانييّ كل مظاهرة ضد الأسلحة النووية ، هو إلى جوار كل من فروا من أُسر استبدادية ومعلمين ضيقى الأفق ، وإلى جوار طلابنا الذين بمقدورهم حل مشكلة لا يُستطاع حلها ، إنه مع هؤلاء الذين نراهم عباقرة ولا يرون فى أنفسهم الشئ الكبير ، فإن مصطلح الأسطورة بالكاد لا يوفيه حقه* .

* اعتمدتُ فى إعداد هذا المقال على مجموعة الأبحاث والمقالات التى كُتبت عن أينشتاين تحت عنوان «أينشتاين كما عرفته» وصدرت بالإنجليزية عام ٢٠٠٦ وحررها چون بروكمان . وقد قام المترجم المصرى محمد طه بترجمتها إلى اللغة العربية وراجعها فتح الله الشيخ ونشرها المجلس القومى للترجمة ضمن إصداراته فى مطلع عام ٢٠١٠ .